سلسلة الرسائل المكية (٢)

وميض من الحرم

خطب ومواعظ من المسجد الحرام

- المجموعة الأولى -

بقلـــم
سعود بن إبراهيم بن محمد الشريم
إمام وخطيب المسجد الحرام

دار الوطن
الرياض - شارع المعذر - ص.ب: ٣٣١٠
☎ ٤٧٩٢٠٤٢ - فاكس: ٤٧٦٤٦٥٩


بسم الله الرحمن الرحيم



خطب ومواعظ من المسجد الحرام

الشريم، سعود بن إبراهيم
وميض من الحرم
١٩٢ص ١٧× ٢٤
ردمك ٣ ـ ٢٣ ـ ٢٨ ـ ٩٩٦٠
١ـ الخطب الدينية ٢ ـ خطبة الجمعة أ ـ العنوان
ديوي ٢١٣ ١٦٥٠/١٥

رقم الإيداع: ١٦٥٠/ ١٥
ردمك: ٣ ـ ٠٢٣ ـ ٢٨ ـ ٩٩٦٠

رقم الإيداع: ١٦٥٠/ ١٥
ردمك: ٣ ـ ٠٢٣ ـ ٢٨ ـ ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤١٥هـ

المقدمـة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [سورة النساء، الآية: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١].

أما بعـد:

فهذه هي **المجموعة الأولى** من الخُطب التي ألقيتها في المسجد الحرام، أضعها بين يدي الخطيب والقاريء استجابة لكثرة الإلحاح من ذوي الفضل والمحبة، لاسيما الوافدين إلى

بيت الله الحرام، الذين لا أحصي طلباتهم المتكررة بنشر هذه الخطب؛ إما في كتاب مستقل؛ أو تصويرها لكل من طلبها. ومن ثَمَّ إرسالها على عنوان بريده، فرأيت الطلب الأول أيسر لي ليكون في متناول الأيدي، عل الله أن يجعل فيها خيراً، وأن يجعلها حُجَّة لي لا عليَّ إنه سميع قريب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قاله مقيده

سعود بن إبراهيم بن محمد الشريم

القاضي بالمحكمة الكبرى بمكة

وإمام وخطيب المسجد الحرام

خواطر بين يدي الخطيب

هذه مجموعة خواطر أقدمها بين يدي الخطيب، وهي في حقيقتها ليست جديدة الطرح ولكنها خواطر قد تخفىٰ على بعض الخطباء؛ إما لقلة المعرفة بأهمية الخطابة أو لصيرورة الخطبة عادة وعرفاً لا تحتاج إلى وضع الأطر المعينة على ضبطها وتجددها. **وهذه الخواطر تتمثل فيما يلي:**

١ - الإخلاص والمتابعة:

فالذي ينبغي للخطيب في ذلك أن يكون مَنْشَأُ الخطبة والسعي إليها وطلبها، من باب الإخلاص لله عز وجل، وتبليغاً للدين، ودعوةً إلى التمسك بالعقيدة الصحيحة والشريعة السمحة، عملاً بقول النبي ﷺ «**بلغوا عني ولو آية**»، ولكن هذا العمل لا يتم قبوله بعد الإخلاص لله عزوجل إلا بمتابعة النبي ﷺ، فهذان هما شرطا قبول العبادة لقوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [سورة هود، الأية: ٧]. قال الفضيل بن عياض أي أخلصه وأصوبه أهـ.

واعلم بأن الأجر ليس بحاصل
إلا إذا كانت له صفتانِ
لابد من إخلاصه ونقائه
وخلوه من سائر الأدرانِ
وكذا متابعة الرسول فإنها
شرط بحكم نبينا العدنانِ

٢ - قوة البيان وفصاحة اللسان:

وهذه ليست واجبة على كل خطيب وإلا لتوقفت الخطبة لأن

عدداً ليس بالقليل من الخطباء ليس لهم اهتمام بهذا الجانب، ولكن الذي ينبغي على الخطيب أن يجتهد في أن تكون الخطبة قوية المعنى سليمة المبنى، وإلا كان النفع قليلاً، وكلما كان اللسان أبيَّن فهو أقوى وأجمل، كيف لا وقد قال موسى عليه السلام: ﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة طه، الآيتان: ٢٧، ٢٨]. وقال: ﴿ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ﴾. (سورة القصص، الآية: ٣٤). فلو لم يكن للفصاحة هذا الدور فما الحاجة إذاً إلى أن يطلب موسى من ربه إرسال أخيه هارون ليكون ردءاً له؟!

ومما يدل على بعد هذه المسألة عن عدد من الخطباء إلا من رحم الله هو ما يسمع من بعضهم هداهم الله من اللحن الجلي والتكسير؛ الذي ربما صار كالمطارق تضرب رؤوس المستمعين الذين يميزون بين الفصاحة واللحن.

ومن ذلك مثلاً كلمة (أما بعد:) فإن بعض الخطباء لا يتبعونها بالفاء، فمثلاً يقول: أما بعد أيها الناس. والصواب أن يقول: أما بعد فيا أيها الناس. قال ابن مالك:

أما كمهما يكن من شيء وفا
لتلو تلوها وجوباً ألفا

والطريقة العملية لهذه المشكلة لا يمكن أن تتحقق إلا بإحدى حالين:

الحال الأولى: إن كان الخطيب ممن درس علوم الآلة؛ ومنها علم النحو، أو كانت لديه مفاتيح النحو بحيث يميز بين المرفوع، والمجرور، والمنصوب، وتقدم العامل على المعمول، وما أشبه ذلك فما عليه إلا أن يطبق ما درس على خطبته.

الحال الثانية: إن لم يكن الخطيب ذا إلمام بالنحو، فلا أقل من أن يعرض الخطبة على من يملك ذلك ليصحح له ما فيها من أخطاء، وما هي إلا فترات حتى يصبح للخطيب بعدها ملكة تعينه على سلامة الخطبة من اللحن.

٣ - **ينبغي للخطيب أن ينتبه لناحية مهمة** تعد مدخلاً واسعاً من مداخل الشيطان لاسيما إذا كان الخطيب ممن يتجمهر حوله الناس ويكثر محبوه، وهذا الأمر المهم هو إرضاء الناس، فالخطيب المشهور تعتريه غالباً حالتان؛ إما أن يرضي جمهوره بخطبة فيها تشنج وقوة نقد دون روية أو تسييس، أو يرضي طرفاً آخر غير الجمهور، وكلا الأمرين خطأ فادح، ولا أدل على خطأ ذلك من قول النبي ﷺ: «**من التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس، ومن التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضىٰ عنه الناس**» هذا إن أرضاهم بأمر خاطيء، أما إذا أرضىٰ أحد الطرفين بأمر صواب وهو يقصد إرضاءهم بذلك فهو من باب الرياء، وهو الشرك الخفي.

٤ - **قد يبدأ الخطيب مشوار الخطابة بداية متواضعة** يحقر فيها نفسه، ولكن ما أن تقف قدماه على منبر الخطباء النجباء الذين يملكون قلوب الناس قبل أسماعهم إلا وتبقىٰ نفسه عرضة للانزلاق في مهاوي العجب، الذي يحمله على الإعجاب برأيه دون غيره، فيقع فريسة للأخطاء ومجانبة الصواب، لاسيما في الأمور المعضلة، والنبي ﷺ ذم هذه الصفة بقوله: «**إذا رأيت شحاً مطاعاً وهواً متبعاً وإعجاب كلِّ ذي رأيٍ برأيه فعليك نفسك**» [رواه أبوداود والترمذي وحسنه].

وأحسن ما يداوي المعجب بنفسه نَفْسَهُ هو أن ينظر إلى من

فوقه علماً وتواضعاً من سلفنا الصالح وعلمائنا الكرام ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ٧٦﴾ [سورة يوسف، الأية: ٧٦].

قال الشاعر:

من شاء عيشاً هنياً يستفيد به
في دينه ثم في دنياه إقبالا
فلينظرن إلى من فوقه أدباً
ولينظرن إلى من دونه مالا

٥ - يقع بعض الخطباء وفقهم الله لكل خير في عادة مذمومة جمعت مذمتين؛ ألا وهي عادة السجع المتكلف في الخطب، حيث يجمع مذمتين إحداهما ترادف الكلمات بحيث تصبح الخطبة حشواً يغني عنه كلمة أو كلمات، والأخرى كون السجع مذموماً في بعض الأحوال.

ومما يدل على ذم السجع ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه «... وفيه وقضى بدية المرأة على عاقلتها وورثها ولدها ومن معهم فقال حمل بن النابغة الهذلي: يارسول الله كيف يغرم من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل فمثل ذلك يطل!؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إنما هذا من إخوان الكهان...**» [متفق عليه].

وقد أخذ العلماء من هذا الحديث أن السجع مكروه لسببين:

الأول: إذا عورض به حكم الشرع كما في الحديث.

الثاني: إذا تكلفه المخاطب في مخاطبته، وأما إذا لم يتكلفه فإنه لا يكره، وعلى هذا يحمل ما ثبت عنه ﷺ في غير ما حديث من الأحاديث التي ورد فيها السجع.

وثبت عن عائشة أنها قالت لكاتب: «إياك والسجع فإن النبي ﷺ وأصحابه كانوا لا يسجعون» [رواه أحمد بإسناد صحيح].

وثبت في البخاري عن ابن عباس وفيه: «وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فإني عهدت النبي ﷺ وأصحابه لا يفعلون ذلك» قلت: وهذا كله محمول على التكلف في السجع.

٦ - **عاب علي أحد طلبة العلم الفضلاء** كيف أورد الشعر أحياناً في خطبي، وذكر أن هذا الأمر محدث، ولم يعرف إلا من عصر الحجاج فما بعده. وأن هذا أمر لا ينبغي، فتأدبت معه في الخطاب لسعة علمه ومنزلته. مع قناعتي بأن ما قاله ليس بصحيح، وهو يعلم أنه هو وغيره يأتون في خطبهم بألفاظ لم تكن في خطب النبي ﷺ ولا خطب أصحابه ولا القرون الأولى المفضلة.

ومن ذلك مثلاً قول معظم الخطباء «أقول قولي هذا...»، وقولهم في آخر كل خطبة «اذكروا الله العظيم يذكركم...» وغير ذلك من الألفاظ التي اتخذها جمهور الخطباء عادة، ولو تركها أحد لربما أنكر عليه.

ولرد شبهة ذم الشعر في الخطبة أقول وبالله التوفيق:

لا شك أن الإكثار من الشعر بحيث يطغىٰ على جوانب أهم منه؛ كالقرآن والسنة وما هو أنفع من الشعر، قد يكون مذموماً ويزداد ذماً إذا اشتمل على قبح أو كذب أو فحش أو تفحش، قال الله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾ [سورة الشعراء، الآية: ٢٢٤]، وقد قال بعضهم «أعذب الشعر أكذبه» وقد قال بعض العلماء لم ير متدين صادق اللهجة يأتي بالعجيب في شعره. وقد قال الشافعي ـ رحمه الله ـ في الإكثار من الشعر:

ولــولا الشعــر بــالعلمــاء يــزري
لكنــت اليــوم أشعــر مــن لبيــد

واختلف في ذم الشعر ومدحه، وأحسن ما قيل فيه قول الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ حين سُئل عن ذلك فقال: الشعر كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح، وروي مثل ذلك عن عائشة ـ رضي الله عنها.

والذي يظهر لي أن الخطيب لا بأس أن يستعمل الشعر إذا كان موعظة ظاهرة يُرتدع بها عن خبث الباطن، أو حكمة نادرة يُتعظ بها في كشف السر الكامن، وعلى هذا يحمل قول النبي ﷺ كما جاء من حديث أُبيّ بن كعب أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من الشعر حكمة**» [رواه البخاري]. ومما يدل على ذلك أن النبي ﷺ ثبت عنه عند مسلم حديث يتعلق بخطبة الجمعة وفيه «**وإن من البيان سحراً**» وقوله هذا فيه تأويلان؛ أحدهما: أنه ذم لأنه إمالة للقلوب وصرفها بمقاطع الكلام إليه حتى يكسب من الإثم به كما يكسب بالسحر وبه قال مالك ـ رحمه الله.

والثاني: أنه مدح لأن الله تعالى امتن على عباده بتعليمهم البيان وشبَّهه بالسحر لميل القلوب إليه وهذا التأويل هو الصحيح المختار، كما ذكر ذلك النووي ـ رحمه الله ـ في شرح صحيح مسلم.

قلت: فإذا كان البيان يشبه السحر، وقد ذمه بعض أهل العلم كما رأيت على أحد التأويلين، وعلى التأويل الثاني مدح؛ فكان ما يشبه السحر يُعد مدحاً ولو كان في الخطبة، لأن الحديث ورد في الخطبة كما سيأتي قريباً إن شاء الله.

فإذا كان الأمر كذلك فإن قوله ﷺ في الشعر: «**إن من الشعر**

حكمة» لا يحتمل تأويلين كما احتمله تأويل البيان، فإن الحديث هنا محكم يدل دلالة واضحة على أن الحكمة قد تنطلق من الشعر، و«من» هنا للتبعيض، فيخلص عندنا هنا أن الشعر لا بأس به إذا أتى به في المجامع والمواعظ والخطب بشروطه المذكورة آنفاً.

ويؤيد ذلك أنه ثبت في الأحاديث الصحيحة ذكر الأشعار أمام النبي ﷺ في المسجد النبوي؛ من قبل حسان بن ثابت، وكعب بن زهير، وغيرهما. وليس المنبر في المساجد العادية بأفضل من مسجد رسول الله ﷺ أو منبره. والعلم عند الله تعالى.

٧ - يلحظ على بعض الخطباء وفقني الله وإياهم وجميع إخواننا المسلمين أنهم يلتزمون في دخولهم إلى المنبر وقتاً واحداً على مدار السنة، ولو اختلف التوقيت فزاد أو نقص، وهذا فيما يظهر لي أنه ليس بجيد لعدة أمور:

الأمر الأول: أن فيه خروجاً من خلاف أهل العلم في وقت الجمعة: وهل هو بعد الزوال أم قبله. أو مع الزوال؟

الأمر الثاني: أن هذا فيه مشقة على الناس، فلو نظرنا مثلاً إلى وقت الظهر في مدينة الرياض لوجدنا أنه يختلف باختلاف الفصول؛ فقد يدخل وقت الظهر في الساعة الحادية عشرة ونصف الساعة تقريباً كأدنى حدٍ له في السنة، وقد يصل إلى الساعة الثانية عشرة وخمس دقائق تقريباً كأعلى حدٍ له في السنة، ومع ذلك تجد بعض الخطباء يلتزم الدخول مطلقاً طوال العام في الساعة الثانية عشرة تقريباً، ومع أن وقت الزوال يبدأ في الساعة الحادية عشرة ونصف الساعة تقريباً، فيكون هناك زيادة نصف ساعة على الناس تثقل عليهم في مقابل قرب دخول وقت العصر،

فيصبح الوقت بين الظهر والعصر قليلاً عند بعض المساجد التي تؤخر الصلاة.

والذي ثبت عن النبي ﷺ من حديث سلمة بن الأكوع أنه قال: كنا نجمع مع النبي ﷺ إذا زالت الشمس ثم نرجع فنتتبع الفيء. [أخرجه البخاري ومسلم]، وفي هذا دليل على التبكير بها في وقتها حسب اختلاف دخوله بالنسبة لفصول السنة. والعلم عند الله تعالى.

٨ - **يحرص بعض الخطباء عن حسن نية** أن يقرأ في صلاة الجمعة آيات تتناسب مع موضوع خطبة الجمعة، وهذا خلاف السنة وإن كان عن حُسن نية، فإن الأكمل اتباع سنته ﷺ، وقد ثبت عنه ﷺ عند مسلم أنه كان يقرأ في صلاة الجمعة سورة الجمعة في الركعة الأولى، وسورة المنافقين في الركعة الثانية، أو يقرأ في الأولى سبح، وفي الثانية الغاشية.

فيتبين من هذا أن ما يفعله بعض الخطباء خلاف السُنَّة، وكذلك الاقتصار على بعض السورة، أو يقرأ إحداهما في الركعتين. وهذا خلاف السنة. قال ابن القيم ـ رحمه الله: «وجُهَّال الأئمة يداومون على ذلك» أهـ. يقصد بذلك من يقرأ بعض السورة أو يقرأ إحداهما في الركعتين.

٩ - **يغفل بعض الخطباء** ـ وفقهم الله ـ عن التنبيه للداخلين إلى المسجد بعد خروج الإمام الذين يجلسون ولا يصلون ركعتين، والأولى للإمام أن ينبه على ذلك إذا رأى أحداً دخل فجلس دون أن يركع ركعتين، ودليل ذلك ما رواه مسلم من حديث جابر بن عبدالله قال: جاء رجل والنبي ﷺ على المنبر يوم الجمعة يخطب، فقال له: «**أركعت ركعتين؟**» قال: لا، فقال: «**اركع**».

خلافاً لمالك وأبي حنيفة وغيرهما، ممن قالوا لا يصليهما واحتجوا بالأمر بالإنصات للإمام، ولكن هذا القول خلاف الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ كقوله: «**إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيهما**» [رواه مسلم].

١٠ - **اعتاد بعض الخطباء** على أن يستخدم السواك إذا صعد المنبر وجلس للأذان، وهذا فيما أعلمه ليس من السنة، فإن ظن الخطيب أن الاستياك قبل الخطبة من السنة فهو بدعة، وأما إن كان يرى أن السواك لا يُحد بوقت، وقد يستحب عند تغير رائحة الفم، فيقال إن كان كذلك فليحرص الخطيب على ألا يكون عند الصعود على المنبر، لئلا يظن الناس أنه سنة في ذلك الوقت والله أعلم.

١١ - **هذه مسألة مهمة يغفل عنها جمهور الخطباء** إلا من رحم الله، ألا وهي مسألة قصر الخطبة وطول الصلاة، فالناس فيها بين الإفراط والتفريط إلا من رحم الله، فبعضهم يطيل إطالة مملة، وآخرون يقصرونها قصراً مخلاً، وسبب ذلك هو عدم فهم الحديث الفهم الصحيح.

قال أبو وائل: خطبنا عمار فأوجز وأبلغ. فلما نزل قلنا: ياأبا اليقظان! لقد أبلغت وأوجزت. فلو كنت تنفست - أي أطلت قليلاً! فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته** مئنة من فقهه - أي علامة - **فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة، وإن من البيان سحراً**» [رواه مسلم].

قال النووي - رحمه الله: المراد بالحديث أن الصلاة تكون طويلة بالنسبة إلى الخطبة لا تطويلاً يشق على المأمومين. انتهى

كلام النووي ـ رحمه الله، وقد ثبت عند مسلم من حديث جابر بن سمرة قال: كنت أصلي مع رسول الله ﷺ فكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً. قال النووي ـ رحمه الله: أي بين الطول الظاهر والتخفيف الماحق. ا.هـ.

ولأجل أن نصل إلى تحديد تقريبي من حيث طول الصلاة وقصر الخطبة بالتوقيت العصري فأقول لو قرأت في صلاة الفجر بالجمعة والمنافقين قراءة متأنية لأخذت الصلاة منك ما لا يقل عن عشر دقائق، وقد جربت ذلك فوجدته كذلك، وهذا كله إذا قرأت حدراً. فكيف بالنبي ﷺ وهو ينفذ أمر ربه ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ [سورة المزمل، الأية: ٤]؟ وكان يطيل الركوع والرفع منه، والسجود والجلوس بين السجدتين حتى قال الراوي: حتى يقول القائل إنه نسي، فإذا كان الأمر كذلك فقد تصل الركعتان بالنسبة لمن أراد أن يطبق صلاة النبي ﷺ إلى عشرين دقيقة على الأقل، فيكون قصر الخطبة بالنسبة إلى الصلاة أقل من عشرين دقيقة. هذا على سبيل المثال. وإلا فخير الأمور الوسط كما قال جابر بن سمرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث السابق.

قلت: فالعجب كل العجب من بعض الخطباء الموصوفين بالعلم. كيف يطيلون الخطبة حتى يتجاوز بعضهم ثلاثة أرباع الساعة أو أقل قليلاً؟ ولربما قال الناس ليته سكت. ومن هنا يظهر الفقه الذي ذكره النبي ﷺ في الحديث.

١٢ ـ خلاصة مسألة رفع اليدين في الخطبة:

الصواب أن اليدين لا ترفع للدعاء في الخطبة، إلا إذا استسقى الإمام في خطبته، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ في صحيح البخاري، وأما إذا لم يستسق فإنه لا يرفع يديه في الدعاء، وإنما

يشير بأصبعه السبابة إذا دعا وإذا ذكر الله. فقد ثبت في سنن أبي داود ورواه مسلم من حديث عمارة بن رويبة أنه رأى بشر بن مروان على المنبر رافعاً يده فقال: قَبَّحَ الله هاتين اليدين لقد رأيت رسول الله ﷺ ما يزيد على أن يقول بيده هكذا وأشار بأصبعه المسبحة».

١٣ - **بعض الخطباء لا يعد للخطبة إلا في صبح الجمعة** أو قبلها بسويعات، والذي يفعل ذلك إن كان فعله له سبب يبيح ذلك له فالضرورة لها أحكامها، أما إذا كان ديدنه ذلك أو يقتلع إحدى الخطب ثم يلقيها من على المنبر، فهذا ممن لا يحمل دعوة ولا رسالة وإنما اتخذ المنبر عادة أو تكسباً، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

فالواجب على الخطيب أن يضع جل همه وتفكيره في خطبة الجمعة، ويفرغ لها الوقت الطويل لإعدادها الإعداد المناسب، حتى تبرأ الذمة ويحصل المقصود، والله الموافق.

هذه بعض الخواطر، وما تركته أكثر مما ذكرته، ولعل المجموعات الأخرى من الخطب أن تُصدَّر بمثل هذه الخواطر. فما كان منها من صواب فمن الله، وما كان منها من خطأ فمن نفسي والشيطان. **والله حسبي ونعم الوكيل.**

إذا غاب الإحسان

الخطبة الأولى

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له كفواً أحد.

وأصلي وأسلم على أفضل المصطفينَ محمد، وعلى آله وصحبه ومن تعبَّد.

أما بعد:

فيا أيها الناس: إن الوقوف الدقيق عند حديث رسول الله ﷺ، المنبعثِ من مشكاة النبوة، ليحمل النفسَ المؤمنة، على أن تعرف أسراره، وتستضيء بأنواره، فلا ينفك يشرح للنفس ويهديها بهديه، فتؤمنُ بالنبي المصطفى، والرسول المجتبى صلوات الله وسلامه عليه وتتبعُ النور الذي أُنزل معه، وكلما ذكر كلامُ المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، فكأنما قيل من فمه للتو. كلام صريح، لا فلسفة فيه، يجعل ما بين المرء وصِنوِه من النية، كما بين الإنسان وربه، من الخوف والمراقبة، كلامٌ.. يقرر أن حقيقةَ المسلم العالية، لن تكون فيما ينالُ من لذته، ولا فيما

ينجحُ من أغراضه، ولا فيما يُقنعهُ من منطقه، ولا فيما يلوحُ من خياله. بلِ هو السمو الروحي؛ الذي يغلب على الأثرة، فيسميه الناس براً. والرحمةُ؛ التي تغلب على الشهوة، فيسميها الناس عفة. والقناعة؛ التي تغلب على الطمع فيسميها الناس أمانة.

عبـــاد الله:

إن تنشئة النفس المؤمنة، على البر والتقوى، والعفَّة والأمانة، والخوف والمراقبة، هي وحدها الطريقةُ العملية الممكنةُ، لحل معضلةِ الشر والانحراف، لدى المجتمع المسلم. أرأيتم الطفل، كيف يشِب على الخُلق الكريم، والنهج القويم، لو تعهده القيِّم بالتوجيه والتقويم. وعلى العكس من ذلك، لو أهمل أمره، وتركه في مهب الريح، فإنه ينشأ شريراً، خطراً على نفسه ومجتمعه، ذلكم ياعباد الله أبرز مثل للنفس، حين ينشأ الفرد، على مراقبة الله والخوف منه.

عبـــاد الله:

لقد ثبت في صحيح مسلم أن جبريل عليه السلام سأل النبي ﷺ عن الإحسان، فقال له المصطفى ﷺ: «**أن تعبد الله، كأنك تراه فإن لم تكن تراه، فإنه يراك**». الله أكبر، إنه لتعبير عجيب، تعبيرٌ.. يحمل في اختصاره حقيقةً هائلة، وخُلةً مذهلة. إنها كلماتٌ تحمل في طياتها قاعدةً كبرى، يقيم عليها الإسلامُ بناءَه: هي أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قاعدةٌ.. يقيم عليها نظمه كلَّها، وتشريعاتِه وتوجيهاتِه طُرا، نظام القضاء، نظام الاقتصاد، نظام السياسة، نظام الأسرة، موقفُ الفردِ من المجتمع، وموقفُ المجتمع من الفرد، نظامُ المجتمع بأَسْرِهِ، بل نظام الحياة كُلِّها، تعبدُ الله كَأنك تراه.

فالمرء المسلم، في مواجهة خالقه ومولاه، المستعلي على جميع المخلوقات، في مواجهة مولاه، بنفسه جميعاً، بكل جوارحه وكل خلجاته، بظاهرها وباطنها، بأسرارها وما هو أخفى من الأسرار، ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾ [سورة غافر، الآية: ١٩] سبحان الله، حتى خائنة الأعين، الخائنة، التي يظن الإنسان، أنه وحده الذي يُحسها ويعرفها، دون أن يراها أحد من الناس أو يفهمها، وحتى السر، بل وما هو أخفى من السر، الخطرات التائهة في مسارب النفس، لا تصل إلى ظاهر الفكر، ولا يتحرك بها اللسان للتعبير، إنه لا ستر إذن ولا استخفاء ﴿ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ﴾ [سورة طه، الآية: ٧] وكل هذه مكشوفةٌ لله، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. وإنه لخير لك أيها المسلم، أن تعبد الله كأنك تراه، خير لك، أن تتوجه إلى حيثُ يَرقُبُك خَالِقك، فتأمنَ المفاجأة.

إنها الرهبةُ في الحالين، رهبةٌ مصحوبةٌ بالأمل، حال كونك متوجهاً إلى الله، مخلصاً له قلبَك، عاملاً على رضاه.

ورهبةٌ، مصحوبةٌ بالذعر، حال كونك متوجهاً بعيداً عنه، وهو من ورائك محيط!! فخير لك إذن: أن تعبد الله كأنك تراه.

أيها المسلمون: قول النبي ﷺ في تفسير الإحسان، يشير إلى أن العبد، يعبد الله على هذه الصفة، وهي استحضارُ قربه، وأنه بين يديه كأنه يراه، لأنه يوجب الخشية والخوف، والهيبةَ والتعظيم، وذلك أفضل الإيمان، كما ثبت عنه ﷺ، أنه قال: «**أفضل الإيمان، أن تعلم أن الله معك حيث كنت**» [رواه الطبراني].

وبه تفوز بوعد الله ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [سورة

يونس، الآية: ٢٦]، وثبت عن النبي ﷺ عند مسلم تفسيرُ الزيادة بالنظر إلى وجه الله عزوجل في الجنة، وهذا مناسبٌ لجعله جزاءً لأهل الإحسان. لأن الإحسان: هو أن يعبد المؤمنُ ربه في الدنيا، على وجه الحضور والمراقبة، كأنه يراه بقلبه وينظر إليه في حال عبادته، فكان جزاءُ ذلك، النظرَ إلى الله عياناً في الآخرة. وعكسُ هذا، ما أخبر به تعالى، عن جزاء الكفار في الآخرة ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [سورة المطففين، الآية: ١٥] وجعل ذلك، جزاءً لحالهم في الدنيا، وهو تراكم الران على قلوبهم، حتى حُجبت عن معرفته ومراقبته في الدنيا، فكان جزاؤهم على ذلك، أن حُجِبوا عن رؤيته في الآخرة.

إن الإحسان، على ما فسره به رسول الله ﷺ، ينبغي أن يتجلى في الأمة بعامة، وفي كل شأن من شؤونها.

فالقاضي المسلم، لا يُظَن فيه الظلم والجور، حين يرقبُ الله كأنه يراه!! ولا يجوزُ له أن يضع نزواته وهواه، في مكان العدل، الذي يطلبه منه رقيبه ومولاه. بل كيف تتجه نفسه إلى البطش والغمط، ومن يرقبه يقول له: ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٨] ويقول له: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم﴾(١). [سورة النساء، الآية: ٥٨].

إن القاضي المسلم، إذا لم يعبد الله كأنه يراه، فهو للدنيا أحب، وللزلل أقرب، ولربما اقتطع أموال اليتامى والأرامل، وأموال الوقف والفقراء والمساكين، فأكل الحرام وأطعم الحرام، وكثر الداعي عليه، فالويل ثم الويل، لمن أورثه قضاؤه هذه الأخلاق. وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: **«فنعمت المرضعة، وبئست الفاطمة»** [رواه البخاري].

وكان يزيدُ بن عبدالله من قضاة العدل والصلاح، وكان يقول «من أحب المال والشرف وخاف الدوائر لم يعدل فيها». إذن خير لك أيها القاضي المسلم، أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

أيهـا النـاس:

إن الإحسان بهذا المفهوم، يُمكِّنُ للزوج وزوجته، أن يتعاشرا بالمعروف، وأن يصون كلُ واحد منهما عرضه في غيبة الآخر، ومطارقُ الخوف من الله ومراقبته، تذكرهم بقوله تعالى عن يوسف عليه السلام ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ﴾ [سورة يوسف، الآية: ٢٣].

لقد اجتمع ليوسف عليه السلام، من الدواعي لإتيان الفاحشة الشيءُ الكثير، فلقد كان شاباً، وفي الشباب ما فيه، وقد غلقت الأبواب، وهي ربة الدار، وتعلم بوقت الإمكان وعدم الإمكان، فكان ماذا؟ ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾[1]. [سورة يوسف، الآية: ٢٣] استعاذة، وتنزه واستقباح، لماذا؟ وما هو السبب؟ لأنه يعبد الله كأنه يراه، وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وذكر منهم، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله**» [متفق عليه].

وإذا خلـوت بـريبـة فـي ظلمـة
والنفـس داعيـة إلـى الطغيـان
فـاستحـي مـن نظـر الإلـه وقـل لهـا
إن الـذي خلـق الظـلام يـرانـي

الإحسان أمر جليل، ذو مسلك طويل، يُظهرُ صدقه الموقف.

والفرج يصدق ذلك أو يكذبه، يغيب الزوج عن زوجته، اليوم واليومين، والشهر والشهرين، فيحمل الإحسانُ المرأة، على صيانة عرض زوجها في غيبته، بعد أن فارقها مطمئناً إلى عرضه، وبيته وماله.

خرج الفاروق رضي الله عنه من الليل، فسمع امرأة تقول وقد غاب عنها زوجها للجهاد في سبيل الله:

لقد طال هذا الليل واسود جانبه
وأرقني ألاَّ خليل ألاعبه
فوالله لولا اللهُ لا شيء غيرُه
لحرك من هذا السرير جوانبه
مخافةُ ربي والحياءُ يصُدني
وإكرامُ بعلي أن تُنال مراكبهُ

عباد الله:

وأما العالم، فيالعظيم العلم، وعلوِ منزلة العالم، ولكن، يالفظاعة الكبوة، وعِظَم الزلة في عيون الناس.

إن أشرفَ ما تنافس فيه المتنافسون، وأفضل ما بُذِلَتْ فيه الجهود، طَلَبُ العلم النافع. فهو الروح، يمد الجسد بالحيوية، وهو النورُ الوضَّاء، يبدد ظلمات الجهل، ويهدي إلى السبيل ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٢٢] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [سورة فاطر، الآية: ٢٨].

فالعلماء هم أولى الناس بالإحسان، وأقربُ الناس إلى الإحسان، وأكثرُ الناس دعوة إلى الإحسان.

والعالم الرباني هو من تحقق فيه ذلك، وجمَّل علمَه بالعمل به،

كما تتجمل المرأة، بالحُلة الحسناء للدنيا، لأن العلم والعمل، إنما يُطلب به ما عند الله، من الدرجات العلى، والنعيم المقيم، والقرب منه، والزلفى لديه، قال سفيان الثوري رحمه الله: «إنما فُضِّل العلم لأنه يُتَّقىٰ به الله، وإلا كان كسائر الأشياء». فمن طلب بالعلم والعمل، سيادة على الخلق، وتعاظماً عليهم، وإظهاراً لزيادة علمه، ليعلو به على غيره، فهو متوعد بالنار، كما قال المصطفى ﷺ: **«من طلب العلم ليماري به السفهاء، أو يجاري به العلماء، أو يصرف وجوه الناس إليه، أدخله الله النار»** [رواه الإمام أحمد والترمذي]. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «يا حملة العلم، اعملوا به، فإنما العالم، من عمل بما علم فوافق عمُلهُ عِلمَه، وسيكون أقوام يحملون العلم، لا يجاوز تراقيهم، حتى إن الرجل ليغضب على جليسه إذا جلس إلى غيره».

والعالِم المسلم، إذا عَبَدَ الله كأنه يراه، كرهت نفسه الفتيا، والحرص عليها، والمسارعة إليها، والإكثار منها.

قال الإمام أحمد رحمه الله: من عَرَضَ نفسه للفتيا، فقد عرَّضها لأمر عظيم، قيل له: فأيما أفضل: الكلام أم السكوت؟ قال: الإمساك أحب إليَّ، ثم قال: وليعلم المفتي، أنه يوقع عن الله أمرَه ونهيَه، وأنه موقوف ومسؤول عن ذلك».

وكان سفيان الثوري يقول: «ما كفيت عن المسألة والفتيا، فاغتنم ذلك ولا تنافس وإياك أن تكون ممن يحب أن يُعمَل بقوله، أو يُنشَر قوله، أو يُسمَع قوله، وإياك وحب الشهرة، فإن الرجل يكون حبُ الشهرة، أحب إليه من الذهب والفضة وهو باب غامض لا يبصره إلا البصير من العلماء السماسرة».

وكان أحد السلف يعجبه ما يراه من علم أحد الناس، وحسن خطابه وسُرعة جوابه فقال له يوماً، وقد سأله عن مسألة فأجاب: أخشى أن يكون حظك من الدنيا لسانَك، فكان ذلك الرجل، لايزال يبكي من هذه الكلمة».

إذن خير لك ياصاحب العلم أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٥٥ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٥٦ ﴾.[سورة الأعراف، الآيتان: ٥٥، ٥٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول ما تسمعون واستغفر الله لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً كما أمر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، سيدُ البشر، اللهم صل وسلم على هذا النبي الشافع المشفع في المحشر وعلى آله وأصحابه السادة الغرر.

أما بعد:

فياعباد الله: إن من تأمل كلام المصطفى ﷺ عن الإحسان، علم أن جميع العلوم والمعارف، ترجع إلى هذا الحديث وتدخل تحته، وينتج عن هذا الإحسان، الإحسانُ في العمل، بأن يؤدي الإنسان واجبه على أكمل وجه، بل الإحسان على كل شيء كما قال رسول الله ﷺ: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِبحة، ولْيَحُدَّ أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته**» [رواه مسلم].

الله أكبر، إنه يأمر بالإحسان حتى في ذبح الذبيحة «وليرح ذبيحته»، إنه الحرص على إراحة الذبيحة، وهي تساق إلى الموت، إلى العدم، إلى حيث لا تشعر. وهنا تتجلى رحمة المسلم، بالحيوانات العجماوات، التي سخرها الله له، وجعلها في خدمته ومصلحته، فالإسلام دين الرحمة، ودين الرأفة، ودين الرفق بالإنسان والحيوان. ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**بينما رجل يمشي في الطريق، اشتد عليه العطش، فوجد بئراً، فنزل فيها فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش، مثلَ الذي كان بلغ بي، فنزل البئر، فملأ خفه ثم أمسكه بفيه، فسقى الكلب،**

فشكر الله له، فغفر له. قالوا يارسول الله: وإن لنا في البهائم أجراً؟! فقال: في كل كبد رطبة أجر».

وفي مقابل جزاءٍ من رحم الحيوان، نجد الرسول ﷺ يقرر عقاب من أذى حيواناً وقسى عليه بقوله: «**عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعاً فدخلت فيها النار**» [أخرجه البخاري ومسلم].

فإذا كان هذا جزاء من يعذب الحيوان الأعجم، فكيف تكون حال من يسيء معاملة والديه، أو يؤذي إخوانه، أو يصبّ شديد غضبه، وعظيم شره، على قرابته وجيرانه، وبني ملته ومجتمعه..؟؟ فاتقوا الله أيها المسلمون وراقبوا ربكم، وتخلقوا بالإحسان تفلحوا، وتفوزوا بوعد الله لكم، إنه لا يخلف الميعاد.

هذا وصلوا رحمكم الله...

الصحبة يارسول الله..
دروس وخواطر من هجرة المصطفى ﷺ

الخطبة الأولى

الحمد لله حمداً لا ينفد، أفضل ما تبغي أن يحمد، وصلى الله وسلم على أفضل المصطفين محمد، وعلى آله وصحبه ومن تعبد.

أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون، اتقوا الله حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى، فبتقوى الله عزوجل تجتمع الكلمة، وتتم النعمة، وتتجلى الحكمة.

أيها المسلمون:

إن في دنيا الناس، ذكرياتٍ لا يُمل حديثُها، ولا تُسأم سيرتُها، بل قد تحلو أو تعلو إذا أُعيدت وتكررت، كما يحلو مذاقُ الشهد وهو يكرر، ومن الذكريات التي لا يُمل حديثُها، ولا تُسأم سيرتها، حياةُ محمد ﷺ إمام البشرية، وسيد ولد آدم فهي من الذكريات الغوالي، التي تتجدد آثارُها وعظاتها، كلما سلك المرء سبيله إلى الاعتبار والإدكار، والعبدُ المؤمن إذ يغشىٰ معالم

سيرته ﷺ فهو كعابد يغشى في مصلاه، ومن حسن حظ المؤمن، أنه ما قلب سيرة المصطفى ﷺ يوماً فأخطأ دمع العين مجراه، وفي أيام محمدٍ الجليلةِ النبيلة أيامٌ خوالد، ماتزال تتضوأ على الأيام. وتتألق في غرة الزمان، ولعل من أسطعها وأروعها، هو يوم الهجرة، الذي تَهُبُ علينا نسماتُ ذِكراه، في كل عامٍ من أعوام الزمن، ومن شواهد عظم حادث الهجرة أنه يزداد بهاء وسناء كلما تناوله العرض والبحث، كالذهب الإبريز؛ كلما عرضته على النار لتمحصَّه، ازداد إشراقاً وصفاءً، وهجرةُ المصطفى ﷺ كانت فاتحة الأمل، وبارقة النصر، وطريق العوده له ولأصحابه إلى مكة فاتحين ظافرين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [سورة القصص، الآية: ٨٥] يعني إلى مكة.

عباد الله: إننا هنا، نعرض لمحاتٍ من هجرة المصطفى ﷺ، في الوقت الذي يشهد فيه المسلمون نكباتٍ وويلات، تعصر قلوبهم، وتمزق صدورهم، وأمتهم وعقيدتهم وحرماتُهم ومقدساتهم، تستصرخ ولا مجيب، وتطالب المسلمين بتضحيات وفداءٍ وبذل. والهجرة النبوية، تعطينا في هذا المجال، قدوةً وأسوة، ففيها تتجلى دروس ودروس، من التضحية والفداء والبذل، فهذا رأسُ الأمة، وإمامُ الملة صلوات الله وسلامه عليه يتحملِ العبء الثقيل، في سبيل الدعوة إلى الله، وإعلاء كلمته، ويشتطُ المجرمون من أعدائه في مقاومته، والتطاول عليه بالسخرية والاستهزاء، ثم بالكذب والافتراء، ثم بحيلةِ الوعد والإغراء، ثم بتسليط الغوغاء والسفهاء، ثم بالتآمر الدنيء، ينتهي إلى الإجماع على اغتياله بلا إرعواء ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٣٠].

أيها المسلمون:

لما رأي المشركون أصحابَ رسول الله ﷺ قد تجهزوا، وخرجوا بالذراري والأطفال، وساروا بهم إلى المدينة، خافوا خروج رسول الله ﷺ إليهم، ولحوقه بهم، فاشتد عليهم أمره، ولم يبق بمكة من المسلمين، إلا رسول الله ﷺ وأبوبكر وعلي رضي الله عنهم وخلا من اعتقله المشركون كُرهاً، فلما كانت ليلة، همَّ المشركون بالفتك برسول الله ﷺ، جاء جبريل بالوحي من عند ربه تبارك وتعالى، فأخبره بذلك، وأمره ألا ينام في مضجعه تلك الليلة. وجاء رسول الله ﷺ إلى أبي بكر نصف النهار، في ساعةٍ لم يكن يأتيه فيها، فقال له: «أخْرِج من عندك» فقال إنما هم أهلُك يا رسول الله، فقال: «إن الله قد أذن لي في الخروج، فقال أبوبكر: الصحبة يا رسول الله؟ قال: نعم، فقال أبوبكر، فخذ بأبي وأمي إحدى راحلتي هاتين فقال له رسول الله ﷺ آخذها بالثمن.

وأمر علياً أن يبيت في مضجعه تلك الليلة، واجتمع أولئك النفرُ من قريش، يتطلعون من صير الباب ويرصدونه، ويأتمرون أيهم يكون أشقاها، فخرج رسول الله ﷺ فأخذ حفنةً من البطحاء، فجعل يذروه على رؤوسهم وهم لا يرونه وهو يتلو ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [سورة يس، الآية: ٩] ومضى رسول الله ﷺ إلى بيت أبي بكر، فخرجا من خوخة في داره ليلاً، ثم مضى رسول الله ﷺ وأبوبكر إلى غار ثور فدخلاه، وضرب العنكبوت على بابه، وجدَّت قريش في

طلبهما، وأخذوا معهم القافة، حتى انتهوا إلى باب الغار فوقفوا عليه، فقال أبوبكر، يارسول الله: لو أن أحدهم نظر إلى ما تحت قدميه لأبصرنا، فقال رسول الله ﷺ يا أبابكر ما ظنك باثنين، الله ثالثهما.

ولما يئس المشركون من الظفر بهما، جعلوا لمن جاء بهما ديَّة كلِ واحد منهما فجد الناس في الطلب، فلما مروا بحي مدلج، بُصر بهم سراقةُ بن مالك فركب جواده وسار في طلبهم، فلما قَرُبَ منهم سمع قراءة النبي ﷺ، ثم دعا عليه رسول الله ﷺ، فساخت يدا فرسه في الأرض، ثم قال سراقة، ادعوا الله لي، ولكما عليَّ أن أرد الناس عنكما، فدعا له رسول الله ﷺ فأطلق، ورجع يقول للناس: قد كفيتم ماههنا.

ومر رسول الله ﷺ في مسيره ذلك بخيمة أم مَعْبَد، فقال عندها، ورأت من آيات نبوته في الشاة وحلبها لبناً كثيراً في سنةٍ مجدبة، ما بهر العقول صلوات الله وسلامه عليه.

وقد كان بلغ الأنصار مخرجُه ﷺ من مكة، وقصدُه المدينة، وكانوا يخرجون كل يوم إلى الحرة، ينتظرونه أول النهار، فإذا اشتد حرُّ الشمس، رجعوا على عادتهم إلى منازلهم، فلما كان يومُ الاثنين، ثاني عشر ربيع الأول، على رأس ثلاثَ عشرة سنةٍ من النبوة، خرجوا على عادتهم، فلما حَمِيَ حرُ الشمس رجعوا، وصعد رجل من اليهود على حصن من حصون المدينة لبعض شأنه، فرأى رسول الله ﷺ وأصحابه، فصرخ بأعلى صوته، يابني قَيْلَة، هذا صاحبكم قد جاء، هذا جدكم الذي تنتظرونه، فبادر الأنصار إلى السلاح ليتلقوا رسول الله ﷺ وسُمعت الرجةُ والتكبير، وكبر المسلمون فرحاً بقدومه، وخرجوا للقائه فتلقوه،

وحيوه بتحية النبوة، فأحدقوا به مطيفين حوله، والسكينةُ تغشاه؛ وجاء المسلمون يسلمون على رسول الله ﷺ وأكثرهم لم يره بعد، وكان بعضهم أو أكثرهم، يظنه أبابكر، لكثرة شيبه، فلما اشتد الحر، قام أبوبكر رضي الله عنه، بثوب يظلل على رسول الله ﷺ فتحقق الناس حينئذٍ رسول الله ﷺ.

بذلك كله **أيها المسلمون** يتضح موقف هو أعظم المواقف، التي وقفها رسول الله ﷺ ضد العدوان فغير به مجرى الأحداث، وضيع على خصومه فرصة الانتقام، وأحبط مسعاهم، وبلبل أفكارهم، وأسفر عن مبلغ تأييد الله له، وحمايته من كيد الكائدين، وطيش الظلمة الجاحدين.

أيها الناس: بمثل هذه السيرة العطرة، تتجلى الخواطر، لننهل منها دروساً عظيمة. عميقة الدلالة، دقيقة المغزى، بعيدة الأثر في نفوس الكرام من أبناء الملة. ومن واجب المسلمين أن يحسنوا الانتفاع بها، عن طريق التذكر المفضي إلى العمل بها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة ق، الآية: ٣٧] ومهما تتبار القرائح، وتتحبرُ الأقلام، مسطرة فوائد الهجرة، فستظل جميعاً كأن لم تبرح مكانها، ولم تحرك بالقول لسانها، وقد يعجز عن حصرها كثير من الناس. قال شيخ الإسلام، الإمام محمد بن عبدالوهاب ـ المجدد لما اندرس من معالم الإسلام رحمه الله تعالى ـ قال في حادث الهجرة: «وفيها من الفوائد والعبر ما لا يعرفه أكثر من قرأها». انتهى كلامه رحمه الله.

ولعل من أبرز الدروس المستقاة من حادث الهجرة، هو أن صاحب الدين القويم والعقيدة الصحيحة، ينبغي ألا يساوم فيها،

أو يحيد عنها، بل إنه يجاهد من أجلها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وإنه ليستهينُ بالشدائد والمصاعبِ ـ تعترضُ طريقه عن يمين وشمال ـ ولكنه في الوقت نفسه، لا يصبر على الذل ينالُه، ولا يرضى بالخدش يلحق دعوته وعقيدته.

ويلوح لنا في حادث الهجرة خاطر آخر، يتعلق بالصداقة والصحبة، فالإنسان في هذه الحياة لا يستطيع أن يعيش وحيداً منفرداً، بل لابد من الصديق يلاقيه؛ ويناجيه ويواسيه، يشاركه مسرته، ويشاطره مساءته. وقد تجلت هذه الصداقة والصحبة في تلك الرابطة العميقة، التي ربطت بين الرسول ﷺ وبين أبي بكر رضي الله عنه.

لقد أصبحت علاقات الكثيرين من الناس في هذا العصر، تقوم لغَرَضٍ أو لعَرَضْ، وتنهض على رياء أو نفاق، إلا من رحم الله، والأمة المسلمة اليوم أحوجُ ما تكون إلى عصبةِ أهلِ الخير، التي تتصادقُ في الله، وتتناصرُ على تأييد الحق، وتتعاونُ على البرى والتقوى ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [سورة الزخرف، الآية: ٦٧].

وخاطر ثالث يتجلى من ذكر هذه الحادثة، وهو أن الله ينصر من ينصره، ويعين من يلجأ إليه ويعتصم به ويلوذ بحماه، ولا يكون ذلك إلا للمؤمن المخلص، الموقن بما عند الله، حين تنقطع به الأسباب، وحين يخذله الناس، وبعض الأغرار الجهلاء يرون مثل ذلك فراراً وانكساراً، ولكنه ـ في الحقيقة ـ كان عزاً من الله وانتصاراً ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ [سورة التوبة، الآية: ٤٠] وبم نصره الله؟ نصره بأضعف جنده ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [سورة المدثر، الآية: ٣١] نصره بنسيج العنكبوت [قصة

العنكبوت حسنها الحافظ ابن حجر رحمه الله، انظر زاد المعاد بتحقيق الأرناؤوط] ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ٤١].

وخاطر رابع؛ يشير إلى أن الشباب إذا نبتوا في بيئة الصلاح والتقوى، نشأوا على العمل الصالح، والسعي الحميد، والتصرف المجيد، والشبابُ المسلمون إذا رضعوا رحيق التربية الدينية الكريمة، كان لهم في مواطن البطولة والمجد، أخبارٌ وذكريات. فعلي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يتردد في أن ينام على فراش الرسول ﷺ، وهو يعلم أن سيوف المشركين تستعد للانقضاض على النائم فوق هذا الفراش، ويتغطى ببردته، في الليلة التي اجتمع فيها شياطين الكفر والغدر، ليفتكوا برسول الله ﷺ، ويالها من نومة تحيطها المخاوف والأهوال، ولكن ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًاۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة يوسف، الآية: ٦٤].

أيها المسلمون: هكذا تعطينا الهجرة اليوم ما يعظنا في حاضرنا، وينفعنا في أولانا وأخرانا، وهناك اليوم في أرجاء المعمورة أخوان لنا مهاجرون مسلمون، أرغموا على ترك ديارهم وأوطانهم، بعد أن فعل بهم الكفرة الأفاعيل، وبعد أن تربصوا بهم الدوائر، ووقفوا لدعوة النور في كل مرصد، يقطعون عليها الطريق، ويعذبون أهلها العذاب الشديد، لا لشيء إلا لأنهم قالوا ربنا الله، فهاجروا كرهاً، وأخرجوا كرهاً، فهم يهاجرون من موطن لآخر، إقامةً لدين مضطهد، وحقٍ مسلوب في فلسطين، وفي البوسنة والهرسك، وفي كشمير، وإريتريا، وغيرها من بلاد المسلمين.

فاتقوا الله **أيها المسلمون**، وقفوا وقفة المهاجر بنفسه، وإن لم

يهاجر بحسه، فلنهاجر إلى الله تعالى بقلوبنا وعقولنا وأعمالنا ولنلجأ إلى الله ليكون ناصرنا ومؤيدنا ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٦٠].

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، ومن سار على طريقه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها الناس: لقد كان ابتداءُ التاريخ الإسلامي الهجري، منذُ عهد أمير المؤمنين عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه، حيث جمع الناس إبان خلافته، فاستشارهم من أين يبدأ التاريخ، فقال بعضهم يبدأ من مولد النبي ﷺ، وقال بعضهم يبدأ من بعثته، وقال آخرون يبدأ من هجرته، وقال بعضهم يبدأ من وفاته، ولكنه رضي الله عنه رجح أن يبدأ من الهجرة، لأن الله فرق بها بين الحق والباطل، فجعل مبتدأ تاريخ السنين من الهجرة، ثم تشاوروا من أي شهر يبدؤون السنة فقال بعضهم من ربيع الأول لأنه الشهر الذي قدم فيه النبي ﷺ مهاجراً إلى المدينة، واتفق رأي عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم على ترجيح البداءة بالمحرم لأنه شهر حرام، ويلي ذا الحجة، الذي به تمام أركان الإسلام وهو الحج.

فعلينا جميعاً أيها المسلمون، أن نأخذ بالتاريخ الهجري، فأعداء الله حريصون على أن يمسخوا الأمة المسلمة في كل شؤونها، حتى في تسمية الشهور والأعوام وإن استبدال تاريخ الكفار بالتاريخ الهجري عدول عن الطريق السوي، والمسلك القويم، وتشبه بالكفرة والمشركين، والمشاكلة في الأمور الظاهرة

توجب مشابهة في الأمور الباطنة، على وجه المسارقة والتدريج الخفي، والمشابهة في الظاهر تورث نوع مودة ومحبة وموالاة في الباطن؛ فتكون محرمة، كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

هذا وصلوا رحمكم الله على خير البرية، وأزكى البشرية.

داء الشباب

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٢].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [سورة النساء، الآية: ١].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فيا أيها الناس: لقد أشرق الإسلام بآدابه وتعاليمه الخالدة، فأقر كل خَيرٍ وُجد في الأخلاق الأصيلة، وغسلها مما علق بها

خلال القرون من الأوضار الدخيلة، ثم أكملها بما أوحىٰ به ربُ السموات والأرض إلى نبيه صلوات الله وسلامه عليه، تحقيقاً لقول الله عزوجل: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥، ٤٦]. فبعثه الله عزوجل لحفظ مصالح الخلق ومقاصدهم، وسد كل ذريعةٍ تخدشُ دينهم، أو تهزُّ كيانهم، ولذا فقد أجمع الأنبياء والرسل قاطبة على الديانة بالتوحيد في مللهم، وعلى حفظ المال والنفس والنسب وحفظ العقل والعرض، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الستة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسده، ودفعها مصلحة، ولأجل هذا شرع الله الجهاد لحفظ الدين، والقصاصَ لحفظ النفس، وحدَّ المسكر لحفظ العقل، وحد الزنى لحفظ العرض، وحد السرقة لحفظ المال، وعقد النكاح لحفظ النسب.

أيها المسلمون: لقد ثبت عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان النكاح في الجاهلية على أربعة أنحاء:

- **نكاحُ الناس اليوم**: يخطب الرجل إلى الرجل وليتَه أو ابنتَه، فيُصدِقُها ثم ينكحها.
- **ونكاح الاستبضاع**: كان الرجل يقول لامرأته إذا طَهُرَتْ من حيضها: أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه «أي اطلبي منه الجماع» ويعتزلها زوجها، حتى يتبين حملها، فإذا تبين حملها أصابها إذا أحب، وإنما يَفْعَلُ ذلك رغبة في نجابة الولد.
- **ونكاحُ آخر**: يجتمع الرهطُ على المرأة؛ فيدخلون كلّهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت ومر عليها ليال، أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع، حتى يجتمعوا عندها فتقول

لهم: قد عرفتم ما كان من أمركم. وقد وَلَدْتُ، فهو ابنُك يا فلان، تسمي من أحببت باسمه فيُلْحَقُ به ولدها، لا يستطيع أن يمتنع منه الرجل.

● **ونكاح رابع**: يجتمع ناس كثير، فيدخلون على المرأة، لا تمتنع ممن جاءها، وهن البغايا؛ ينصبن على أبوابهن راياتٍ تكون علماً، فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت، جُمعوا لها، ودعوا لها القافة «وهم الذين يشبهون الناس» ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون، فالتاط به «أي التصق به وثبت النسب بينهما» ودُعِيَ ابنه لا يمتنع منه الرجل. فلما بُعث محمدٌ ﷺ هدم نكاح الجاهلية كله، إلا نكاح الناس اليوم [رواه البخاري].

أيها المسلمون: النكاحُ عبادة يستكمل بها المسلمُ نصفَ دينه، ويلقى بها ربه على أحسن حالٍ من الطهر والعفاف، وفي كثرة النسل من المصالح الخاصة والعامة، ما يساعدُ الأمة على تكثير سواد أفرادها، وقد قال ﷺ: «**تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة**» [رواه أبو داود والنسائي وغيرهما]، وقديماً قيل: إنما العزة للكاثر.

ولا تزال هذه حقيقةً قائمةً لم يطرأ عليها ما ينقضها.

أيها الناس: إن في البلاد المسلمة اليوم، مشكلةً من أعضل المشاكل وأعمقها أثراً في حياة الأمة المسلمة، إنها مشكلة الزواج، والتي تتلخص في كلمات، هي أن في المسلمين آلافاً مؤلفة من البنات في سن الزواج، لا يجدن الخاطب، وآلافاً مؤلفةً من الشباب لا يجدون البنات، أو لا يريدون الزواج.

وهذه المشكلة الظاهرة، إن لم يتنبَّه إليها المسلمون، ويفتحوا لها طرق العلاج بالحلال فإنه لن يجد الشباب للوصولِ إلى

حاجاتهم الغريزية إلا سلوك طريق الحرام، في نحو ما ذَكَرَتْ عائشة رضي الله عنها أو يزيد، لأن من النتائج الحتمية الظهور والتي لا ينكرها عاقل مسلم، أن الفساد الخلقي سبب في قلة الزواج، وقلة الزواج سبب في الفساد الخلقي، كما قال القائل:

لـولا مشيبـي مـا جفـا
لـولا جفـاه لـم أشـب

إن الوقدة من ضرم الشهوة، في أعصاب الشباب المسلم، هي داءُ الشباب في كل حين، ولطالما أرقت الكثيرين صغاراً وكباراً، ولطالما نفت عن عيون الكثيرين لذيذ العيش، ولطالما صدفت عن دروسه التلميذ، وعن عمله العامل، وعن تجارته التاجر، وكل هذا طبعي معقول، ولكن الذي لا يكون أبداً صبعياً ولا معقولاً، أن يُحِسَّ الفتى والفتاةُ بهذا كله، في سن الشباب، ثم يضطرهما المجتمع بأسلوبه على مختلف المحاور، إلى البقاء على العزوبة، والصدفِ عن الزواج، من حيث يشعر أو لا يشعر، وهذه هي المشكلة وهي مكمن الداء.

ولربما كانت بعض المجتمعات، تقول للشاب بلسان حالها: اختر إحدى ثلاث، كلُّها شر، ولكن إياك إياك أن تفكر في الرابعة التي هي وحدها الخير، وهي الزواج، وهذه الثلاث:

إما الانطواء على النفس وعلى أوهام الشهوة، والتفكيرُ فيها، وتغذيتُها بالروايات الرخيصة، وأحلام اليقظة، ورؤى المنام، حتى ينتهي به الحالُ إلى الهوس، أو انهيار أعصابه، ولسان حاله يقول للمجتمع «ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء».

وإما اللجوءُ إلى طرق سرية خفية، لإبراز غلة الشهوة، والتي

حرمها جمهور أهل العلم عملاً بقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧﴾ [سورة المؤمنون، الآية: ٧].

وإما الاغترافُ من حمأة اللذة المحرمة، وسلوكُ سُبُل الضلال، لِتُبْذَلَ فيها الصحةُ والشباب في لذةٍ عارضه، ومتعةٍ عابرة، ثم هو لا يشبع، بل كلما واصلَ واحدة، زاده الوصالُ نهماً، كشارب الماء المالح لا يزدادُ شُرباً، إلا ازداد عطشاً.

وهذا كله، نتيجةُ ما نُحِسّه اليوم من جمودٍ في حركة الزواج، حتى أصبحت العزوبة الممقوتة أصلاً لدى عدد من الشباب ليس بالقليل، والتي اتبعها بعد ذلك اضطراب الأقيسة الاجتماعية في طريقة اختيار القرينة، عندما يرغب الشباب في الحياة الزوجية، والزواج ينبغي ألا يكون قضاء وطر وإدراك شهوة فقط، ولكن ينبغي أن يكون امتداداً لأمة تحمل رسالة نبيها ﷺ، وبناءً لأجيال تقيمُ الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتأمرُ بالمعروف، وتنهى عن المنكر ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [سورة الطور، الآية: ٢١].

أيها المسلمون:

لقد توصل كثير من الباحثين في مشكلة الزواج، إلى أسبابٍ كثيرة، كانت سداً منيعاً في طريق من يريدُ الزواج، وهم وإن اختلفوا في عد تلك الأسباب، ما بين مقلٍ منها ومكثرٍ؛ إلا أن أهمها لا يخرجِ عن **أسبابٍ ثلاثة:**

أولُها: تلكُم العادات الشنيعة، التي تُخْرِبُ بيت الأب وبيت الخاطب معاً، وليس فيها نفعٌ لأحد، وإنما هو التفاخرُ والتكاثر، والتسابقُ إلى التبذير والسَرَف، ولو سئل كثير من العزاب اليوم، ما منعكم من الزواج؟ لكان جوابُ الكثير منهم في صوت واحد

«غلاء المهور، غلاء المهور» الذي أدى بالناس إلى الازدواجية في الحياة، ففئام من الناس يعيشون كأنهم في عصر مضى، وفئام من الناس، كأنهم يعيشون في عصر لم يأت بعد، فكيف إذاً يلتقي الزوجان وبينهما عصر مديد، هو يعيش كفافاً وأهل الزوجة يعيشون إسرافاً، هو يريد الزواج وأهلها يريدون الفخر والمباهاة، جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال إني تزوجت امرأة من الأنصار فقال له النبي ﷺ على كم تزوجتها؟ قال: على أربع أواق «يعني مائةً وستين درهماً» فقال له النبي ﷺ على أربع أواق!!!! كأنما تنحتون الفضة من عُرضِ هذا الجبل ما عندنا ما نعطيك. . . الحديث» [رواه مسلم].

وعندما يصل المجتمع المسلم إلى حد الرشد، فإنه لا يستطيع بطبيعة الحال، أن ينظرَ بعين الرضى، إلى التنافس الصبياني في غلاء المهور، وعشق الأثاث، ومن أبى إلا ركوبَ رأسه في هذا المنحدر، فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

وسبب آخر، من أسباب تلك المشكلة، يتمثل في قلة الدين، وتغيب العفاف، الذي أدى ببعض المجتمعات في كثير من البقاع ـ إلا من رحم الله ـ إلى إقرار الاختلاط بين الجنسين، والذي أصبح وسيلة ناجحة لإطلاق عِنان الغرائز، ليعيش الشباب لصوصاً على أعراض الناس، يكتفون باختلاس النظرة، واستجداء اللحظة، وسلوكِ مسالك الغش والتضليل، التي غفل عن خطرها كثير ممن حُرم هدايةَ الله.

والسبب الثالث، من أسباب تلك المشكلة، هو ما يردده بعض أرباب الأفكار اللقيطة، الذين ينفثون سمومهم عبر قنوات متعددة، يقررون من خلالها أن التبكير في الزواج عمل غير

صالح، وضَربٌ من التغرير بالمراهقين، وأنه لا ينبغي أن يغامر الفتى بعملية الزواج قبل التزود الكافي من التجارب.

وفي ذلك قال قائلهم: لا قِبَلَ لي بهذا المعنِّي الذي يسمونه الزواج، فما هو إلا بيتٌ ثُقْلُه على شيئين، على الأرض، وعلى نفسي، وأطفالٌ يلزمونني عمل الأيدي الكثيرة، من حيثُ لا أملك إلا يدين اثنتين، وأتحمل منهم رهقاً شديداً، ومن ثم سيصبحون عالةً على المجتمع، ومن الذي تَعرِضُ عليه الحياةُ سلامَها وأشواقها، في مثل رسالة غرام، ثم يدع ذلك كله ويتزوجها، فكأنه بذلك يسألها غَضَبَها وخِصَامَها، في نحوِ قضيةٍ من قضايا المحاكم، كلُ ورقةٍ فيها تلدُ ورقة.

وطبعي أن يكون لمثل هذا الصدى مريدون ومريدات، يضعون مثل هذه الترهات في مقام القداسة والتعظيم، حتى يقف بهم الأمر لأن يكون الواحدُ منهم خواراً جباناً، لا يستطيع أن يحمل أثقالاً مع أثقاله، ويستوطن العجز والخمول، فلا يكون إلا قاعدَ الهمة، رخو العزيمة.

وكلُ شابٍ تلك حالُه، فهو حادثةٌ ترتدف الحوادثَ وتستلزمها، ولا يأتي السوء إلا بمثله أو بأسوأَ منه، فيشهدُ العَزَبُ على نفسه، أنه مبتلى بالعافية، مستعبدٌ بالحرية، مجنونٌ بالعقل، مغلوبٌ بالقوة، شقيٌ بالسعادة.

وما علم هؤلاء أن رسول الله ﷺ ألجمهم بقوله: «**يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**» [رواه الجماعة]. قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة النور، الآية: ٣٢]، قال أبوبكر رضي الله

عنه: «أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح يُنْجِزْ لكم ما وعدكم به من الغنى.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبـة الثانيـة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعـد:

فيا أيها الناس: بالنكاح يلتمُّ الشَعَث، وتسكنُ النفس، ويطمئنُّ القلب، ويستريحُ الضمير من تعب التفكير، ويحصلُ الولد، ويَعْمُرُ البيت، وتتمُّ به نعمةُ الله على الزوجين، ولن تَكْمُلَ الرجولة حتى يتزوج الشاب، أما الذي لا زوجة له ولا ولد، فرحمتُهُ بالناس مفقودة، وشفقتُهُ عليهم غيرُ موجودة، لا يهمُّهُ إلا بطنُه وظهرُه، ولا يجمع من المال إلا ما يكفيه لحياته. هو عالةٌ على أهله في صِغره، وغيرُ مأمولٍ في كبره، إذا طال عمره فغيرُ ملتفَتٍ إليه، وإذا مات فغيرُ مبكيٍ عليه، ومن رغب عن النكاح فقد ترهب، وعنده يقفُ بعضُ نسلِ آدم، ومن جهته تنقطع الأبوةُ والبنوة، فلا يُذكر إلا بعلم علمه، أو مالٍ ترك منه صدقةً جارية.

دخل الأحنفُ بنُ قيس على معاوية رضي الله عنه، ويزيدُ بين يديه، وهو ينظر إليه إعجاباً به فقال: يا أبابحر، ما تقول في الولد؟ فعلم ما أراد فقال: ياأمير المؤمنين هم عمادُ ظهورنا، وثمرُ قلوبنا، وقرةُ أعيننا، بهم نصول على أعدائنا، وهم الخَلَفُ لمن بعدنا. فكن لهم أرضاً ذليلة، وسماءً ظليلة. إن سألوك فأعطهم، وإن استعتبوك فأعتبهم، لا تمنعهم رِفدَك، فيملوا

قربك، ويكرهوا حياتك، ويستبطئوا وفاتك، فقال لله درك يا أبابحر، هم كما وصفت.

هذا وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأزكى البشرية جمعاء، محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب سيد المرسلين، وإمام الغر المحجلين، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

شواطيء البكائين

الخطبة الأولى

الحمد لله تبارك وتعالى، يقضي بما شاء، ويفعل ما يريد، وربك يخلق ما يشاء ويختار، أحمده سبحانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يحاسبُ على الفتيلِ والقطمير، وكفى بالله حسيباً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خيرُ من سعى وطاف، وأفضلُ من بكى لله وخاف، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناسُ ونفسي بتقوى الله عزوجل، وكثرة حمده على آلائه إليكم، ونعمائه عليكم، وبلائه لديكم، فكم خصكم بنعمة، وأزال عنكم نقمة، وتداركم برحمة، أعورتم له فستركم، وتعرضتم لأخذه فأمهلكم، فإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم.

أيها الناس: قال الله عزوجل في محكم التنزيل ﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة الذاريات، الآيتان: ٢٠، ٢١] وقال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ

أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [سورة فصلت، الآية: ٥٣].

والآيةُ جِد آية، والعظمةُ جِدّ عظمة، ما أودعه الله عز وجل في بني البشر من النعمتين العظيمتين، ألا وهما نعمة الضحك والبكاء، ضحك وبكاء.. أودعهما الله النفسَ الإنسانية، والأمة البشرية ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة النجم، الآيتان: ٤٢، ٤٣] ضحكٌ.. أودعه الله النفس البشرية، لتعبر به عن فرحها المرغوب، ورضاها به، وأنسها بما يسر، وبكاءٌ.. أودعته النفس، لتعبر به عن الخشية والفرق، والخوف والوجل، ولربما هجم السرور على النفس، فكان من فرط ما قد سرها أبكاها، فهي تبكي في الأفراح والأحزان.

إن الله عزوجل أنشأ للإنسان دواعي الضحك، ودواعي البكاء، وجعلها وفق أسرار أودعها فيه، يضحك لهذا، ويبكي لذاك، وقد يضحك غداً مما أبكاه اليوم، ويبكي اليوم مما أضحكه بالأمس، في غير جنون ولا ذهول، إنما هي حالات جبلية، خلقها الله فيه ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الذاريات، الآية: ٢١].

أيها المسلمون، أيها المسلم، أيتها المسلمة، إن الله عزوجل أنعم عليكم بنعمة البكاء لتشكروه عليها، إذ كيف يعيش من لا يبكي، كيف تتفاعل نفسه مع الأحداث والمواقف، بماذا يترجم عن الحزن والأسى، بماذا يعبر عن الخشية والخوف من الله جل وعلا، قال رسول الله ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن نفس لا تشبع ومن عين لا تدمع ومن دعوة لا يستجاب لها**».

أيها الأحبة:

البكاء قافلة ضخمة، حطت ركائبها في سوق رحْبة، ما ابتاع الناس منها على ثلاثة أضرب:

فضَرْبٌ من الناس اشتروا بكاء العشاق والمشغوفين، أصحاب الهوى والتيم، أهل الصبابة والغرام، الذين هربوا من الرق الذي خلقوا له، وبَلَوا أنفسهم برق الهوى والشيطان، فاشترى هؤلاء القوم هذا الضَرب من البكاء شراءً مفتقراً لشروط الصحة، فابتاعوا بيعاً فاسداً، ثم زادوا السقم علة، والطين بلة، حين أوقفوا هذه الدموع، واحتبسوها، في غير وجهٍ شرعي، فبطل الوقف، وخسر الواقف، وهام الموقوف عليه، فما أعظمها شِقوة، وما أوعرها هوة.

فما في الأرض أشقى من محب
وإن وجد الهوى حلو المذاق
تراه باكياً في كل حين
مخافة فرقة أو لاشتياق
فتسخن عينه عند التلاقي
وتسخن عينه عند الفراق
ويبكي إن نأوا شوقاً إليهم
ويبكي إن دنوا خوف الفراق

أعاذنا الله وإياكم من هذه الحال، ومن حال أهل النار.

وضَرْبٌ من الناس: ابتاعوا بكاء أهل الحزن على مصائبهم ورزاياهم، وعلى هذا الضَرْبِ جُلُّ الناس، فاقتصروا على سلعة، وافقت جبلتهم التي جبلهم الله عليها، فأصبحوا لا لهم ولا عليهم.

وضَرْبٌ ثالث: اشتروا بكاء الخشية من الله عزوجل، تلكم البضاعة التي زهد فيها معظم القوم إلا من رحم الله. آيات تتلى، وأحاديث تُروى، ومواعظ تلقى، ولكن تدخل من اليمنى وتخرج

مع اليسرى، لا يخشع لها قلب ولا تهتز لها نفس، ولا يسيل على أثرها دمع «**اللهم إنا نعوذ بك من قلب لا يخشع ومن عين لا تدمع**».

عباد الله: لقد أثنى الله جل وعلا في كتابه على البكائيين من خشية الله، وفي طاعة الله. الأتقياء الأنقياء، ذوي الحساسية المرهفة، الذين لا تسعفهم الكلمات للتعبير عما يخالج مشاعرهم، من حبٍ لله، وتعظيم له، وخشيةٍ وإجلال، فتفيضُ عيونهم بالدموع، قربةً إلى الله وزلفى لديه.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [سورة الإسراء، الآيات: ١٠٧ـ ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾ [سورة مريم، الآية: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾ ﴾ [سورة النجم، الآيات: ٥٩ـ٦٢].

ثبت عن النبي ﷺ أنه أمر الناس أن ينبعثوا غازين معه، فجاءه عصابة من أصحابه، فقالوا يارسول الله: احملنا، فقال لهم: والله لا أجد ما أحملكم عليه. فتولوا وهم يبكون، وعز عليهم أن يجلسوا عن الجهاد، ولا يجدون نفقةً ولا محملاً، فأنزل الله عزوجل ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ

مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [سورة التوبة، الآيتان: ٩١، ٩٢].

عباد الله:

البكاء من خشية الله وصف شريف، ومسعى حميد، به وصف الله أنبياءه، والذين أوتوا العلم من عباده، وقد ذكر رسول الله ﷺ من السبعة لذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله «رجلاً ذكر الله خالياً ففاضت عيناه» [متفق عليه]. . ويمتاز البكاء في الخلوة، لأن الخلوة مدعاة إلى قسوة القلب، والجرأة على المعصية، فإذا ما جاهد الإنسان نفسه فيها، واستشعر عظمة الله فاضت عيناه، فاستحق أن يكون تحت ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله.

قال رسول الله ﷺ: **«عينان لا تَمَسُهُما النار؛ عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله»** [رواه الترمذي] صدق رسول الله ﷺ، فلقد قال ذلك بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه، قال ذلك وهو أتقى الناس لله، وأخشى الناس لله، وأكثرُ الناس بكاء من خشية الله.

ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال له: اقرأ عليَّ القرآن، فقال: أقرأ عليك القرآن وعليك أُنزِل؟ قال: إني أحب أن أسمعه من غيري، فقرأ من سورة النساء حتى بلغ قول الله ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [سورة النساء، الآية: ٤١] فقال رسول الله ﷺ حسبك فإذا عيناه تذرفان .

وقد ثبت عنه ﷺ أنه كان إذا صلى سمع لصدره أزيزٌ كأزيز

المرجل من البكاء، أي كصوت القِدْر إذا اشتد غليانه [رواه أبو داود وأحمد والنسائي].

وثبت عنه ﷺ أنه بكى على ابنه إبراهيم، حينما رآه يجود بنفسه، فجعلت عيناه تذرفان الدموع ثم قال: «**إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لفراقك ياإبراهيم لمحزونون**» [رواه البخاري ومسلم].

إن هذه الدموع الزكية التي سالت من عينه ﷺ تمثل إحساساً نبيلاً، ومشاركةً أسيفةً للمحزونين والمكروبين، وهي لا تتعارض أبداً مع كونه ﷺ مثلاً للشجاعة ورباطة الجأش، والرضى بقضاء الله وقدره، ولكنه بكاء المصطفى الكريم في مواطن الرحمة والإشفاق، ومن لا يرحم لا يُرحم ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ﴾ [سورة الفتح، الآية: ٢٩].

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: ما النجاة؟ ما النجاة؟ قال: «**أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك**» [رواه أحمد والنسائي].

أيها المسلمون: هذه حال النبي ﷺ في بكائه من خشية الله، أخذها الصحابة رضوان الله عليهم. فقد روى الحاكم والبزار بسند حسن عن زيد بن أرقم قال: كنا مع أبي بكر رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ فاستسقى، فقدم له قدح من عسل مشوبٍ بماء، فلما قربه إلى فيه بكى وبكى، حتى أبكى من حوله، فما استطاعوا أن يسألوه عن سبب بكائه، فسكتوا وما سكت، ثم رَفَعَ القدحَ إلى فيه مرةً أخرى، فلما قربه من فيه بكى، وبكى، حتى أبكى من حوله، ثم سكتوا فسكت بعد ذلك، وبدأ يمسح الدموع من عينيه رضي الله عنه، فقالوا: ما أبكاك يا خليفة رسول الله؟ قال: كنت

مع رسول الله ﷺ في مكان ليس معنا فيه أحد، وهو يقول: إليكِ عني إليكِ عني، فقلت يارسول الله: من تخاطب وليس ههنا أحد؟ قال ﷺ هذه الدنيا تمثلت لي فقلت لها: إليكِ عني، فقالت: إن نجوت مني فلن ينجو مني مَنْ بعدك، فخشيت من هذا.

أيها الأحبة: قام محمد بن المنكدر ذات ليلة فبكى، ثم اجتمع عليه أهله ليستعلموا عن سبب بكائه، فاستعجم لسانه، فدعوا أباحازم، فلما دخل أبوحازم هدأ محمد بن المنكدر بعضَ الشيء، فسأله عن سبب بكائه فقال: تلوت قول الله جل وعلا: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الزمر، الآية: ٤٧] فبكى أبوحازم، وعاد محمد بن المنكدر إلى البكاء، فقالوا: أتينا بك لتخفف عنه فزدته بكاء ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الزمر، الآية: ٤٧].

كان الربيع بن خيثم يبكي بكاء شديداً، فلما رأت أمُه ما يلقاه ولدُها من البكاء والسهر، نادته فقالت: «يابني لعلك قتلت قتيلاً؟ فقال: نعم ياوالدة. قتلت قتيلاً، فقالت: ومن هذا القتيلُ يابني، نتحملُ إلى أهله فيُعْفُوك، والله لو علموا ما تلقى من البكاء والسهر لقد رحموك، فقال الربيع: ياوالدتي هي نفسي، ياوالدتي هي نفسي».

عباد الله:

هذا بكاء السلف، وهذه دموع البكائين تسيل، ولسان حالهم يقول:

نـزف البكـاء دمـوع عينـك فـاستعر
عينـــاً لغيـــرك دمعهـــا مـــدرار

من ذا يعيرك عينه تبكي بها
أرأيت عيناً للدموع تعار

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أنه لابد من القلق والبكاء، إما في زاوية التعبد والطاعة، أو في هاوية الطرد والإبعاد، فإما أن تحرق قلبك بنار الدمع على التقصير، والشوق إلى لقاء العلي القدير، وإلا فاعلم أن نار جهنم أشدُ حراً ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [سورة التوبة، الآية: ٨٢]، فانظر ياعبدالله إلى البكائين الخاشعين تراهم على شواطيء أنهار الدموع نزول، فلو سرت عن هواك خُطُوات، لاحت لك الخيام.

اللهم إنا نعوذ بك من قلب لا يخشع ومن عين لا تدمع.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن هذا الدين وسطٌ بين الغالي فيه والجافي عنه، ولا يفهم من الحث على البكاء والتباكي خشيةً لله، لا يفهم منه الدعوة إلى الكدر، ولا إلى الرهبنة، ولا إلى ما يقوله أحدهم: «ما ضحكت منذ أربعين سنة» فرسول الله ﷺ إمام الأمة وقائد الملة كان يضحك ويبتسم، ولكنه لا يستجمع ضاحكاً، ولا يُفرِطُ في الضحك، فقد ثبت عنه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «**لا تكثروا الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب**» [رواه ابن ماجه والبخاري في الأدب المفرد بسند جيد].

ولا يضحكُ ويقهقه، ويُرْفُس الأرض برجله، ويستلقي على قفاه، إلا الذي قسا قلبه، وغفل عن الموت ونسي ما بعده.

وقد يُغرِقُ البعض في الضحك، حتى إنه لا يلين قلبه ولا تبكي عينه، ولا يتأثر بشيء ولو وعظه لقمان، أو تليت عليه آيات القرآن، يَطْرَبُ لأصوات المظلومين، وأنات المنكوبين، قد نزع الله من قلبه الرحمة، وجرده من الخوف والرجاء، جفت مآقيه عن الدموع، فاعتاض عنها شراراً يقذفه من عينيه، يضحك للمصيبة تنال أخاه، يقهقه سخريةً من كل صاحب سُنَّة، إذا مر بذي صلاح

غمز، وإن ذُكر عنده ذو علم لمز ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة المطففين، الآيات: ٢٩-٣٦]، فهؤلاء ضحكوا هنا فبكوا هناك وهؤلاء بكوا هنا وسيضحكون هناك ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة الرحمن، الآية: ٦٠].

هذا وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية فقد قال ﷺ: «**من صلى عليَّ صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشراً**».

بين الحلم والغضب

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾ [سورة النساء، الآية: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون، اتقوه في السر والعلن، فإن تقوى الله عزوجل سبب الأمن في الدنيا والهداية في الآخرة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٨٢].

عباد الله:

لقد دخل رسولُ الله ﷺ مكة عام الفتح، وقلبُه مفعمٌ بشكر الله على نصره لنبيه، وإنجازِ وعده له، كان ممتطياً ناقته القصوى، وسار بها حتى بلغ الكعبة، فطاف بالبيت سبعاً، ثم صلى خلف المقام، وجلس في المسجد والناسُ من حوله، والعيونُ شاخصةٌ إليه، ينتظرون ما هو فاعلٌ بأهل مكة، الذين آذوه وقاتلوه، وأخرجوه من بلده التي هي أحبُ أرض الله إلى الله.

في تلك اللحظات الحرجة تطلع القوم واشرأبوا إلى معرفةِ صنيعه بأعدائه، وقد تكاثر الناس حوله في المسجد، فخطبهم وتلا عليهم قول الله عزوجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [سورة سورة الحجرات، الآية: ١٣] ثم سألهم: يامعشر قريش، ماتظنون أني فاعلٌ بكم؟ قالوا: خيراً، أخٌ كريم، وابن أخٍ كريم، قال: فإني أقول لكم ما قال يوسف لأخوته ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾ [سورة يوسف، الآية: ٩٢] اذهبوا فأنتم الطلقاء.

فاسترد أهلُ مكة أنفاسهم، وبدأت البيوتُ تُفتحُ على مصاريعها لتبايع رسول الله، بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه، الله أكبر، ما أجمل العفو عند المقدرة، ومن أحق بذلك، إن لم يكن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [سورة القلم، الآية: ٤].

عباد الله:

لقد برز حلمُ النبي ﷺ جلياً في هذا الموقف، والذي سار عليه

الأنبياءُ من قبله، فهذا هودٌ عليه السلام، يستمع إلى إجابة قومه بعد ما دعاهم إلى توحيد الله عزوجل ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٦٦ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٧ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ۝٦٨﴾ [سورة الأعراف، الآيات: ٦٦ـ٦٨].

إن شتائم أولئك الجهال لم يطش «لها حلم» هودٍ عليه السلام، لأن الشُقة بعيدة، بين رجل اصطفاه الله رسولاً، وبين قوم سفهوا أنفسهم، وتهاووا على عبادة الأصنام.

أيها المسلمون: بهذا الموقف، وبغيره من المواقف العظيمة، عالج رسول الله ﷺ محو الجاهلية التي كانت تقوم على نوعين من الجهالة: جهالةٌ مضادة للدين والعلم، وأخرى مضادةٌ للحلم. فأما الأولى، فقد قطع النبي ﷺ ظلامها بأنواع المعرفة والإرشاد، وأما الأخرى فقد كبح الهوى، ومنع الفساد فيها بحلمه وعفوه ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٥٩] لقد كانت مواقفه ﷺ، ناسخةً للجاهلية الجهلاء، التي كان يعيشها العرب، والتي بلغت من الغلظة والشدة ما صدها عن مكارم الأخلاق، كما صور ذلك بعضهم في قوله:

ألا لا يجهلــن أحــد علينـــا
فنجهــل فــوق جهــل الجــاهلينــا

ولم يكن للجاهلية كأمثال، الآن شعر الحماسة والجهل، والفخر والحمية، والهجاء.

فجاء الإسلام، ليكفكف من هذه النزوات، ويقيم أركان المجتمع على الفضل وحسن التخلق، ولم تتحقق هذه الغاية بعد فضل الله إلا عندما هيمن العلم النافع، والعقلُ الراشد، على

غريزة الجهل والغضب، وكثيرٌ من النصائح التي أسداها رسول الله ﷺ للناس كافة، كانت تتجه إلى هذا الهدف، مما جعل المسلمين يعدون مظاهر الطيشِ والتصدي، والعنفِ والأذى، شروداً من القيود، التي ربط بها الإسلامُ الجماعة المسلمة، لئلا تميد ولا تضطرب، قال رسول الله ﷺ: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**» [رواه البخاري ومسلم].

إن من الناس من لا يسكتُ عن الغضب، فهو في ثورة دائمة، وتغيظٍ يطبع على وجهه العبوس، إذا مسه أحد بأذى ارتعش كالمحموم، وأنشأ يُرغى ويُزبد، ويلعن ويطعن، والإسلام بريء من هذه الخلال الكدرة، قال رسول الله ﷺ «**ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء**» [رواه الترمذي وقال حديث حسن].

فقد حرم الإسلامُ المهاترات السفيهة، وتبادل السباب بين المتخاصمين، وكم من معارك ضارية تُبتذلُ فيها الأعراض، وتُنتهك فيها الحرمات، وما لهذه الآثام الغليظةِ من علة، إلا تسلطُ الغضب، وضياعُ الأدب، وأوزارُ هذه المعارك العنيفةِ الوضيعة تعود على الموقد الأول لجمرتها، قال رسول الله ﷺ: «**المستبان ما قالا فعلى البادىء منهما، حتى يعتدي المظلوم**» [رواه مسلم].

والمسلك الأمثلُ في ذلك كله، والدالُ على العظمةِ والمروءة، هو أن يبتلع المرءُ غَضَبَه فلا ينفجر، وأن يقبض يده فلا يقتص، وأن يجعل عفوه عن المسيء نوعاً من شكر الله، الذي أقدره على أن يأخذ حقه إذا شاء. قال الأحنف بن قيس: احذروا

رأي الأوغاد، قالوا وما هم، قال الذين يرون الصفح والعفو عاراً. —

أيها الناس: إن كمال العلم في الحلم، ولينُ الكلام مفتاحُ القلوب، يستطيع المسلم من خلاله، أن يعالج أمراض النفوس، وهو هاديء النفس، مطمئنُ القلب، لا يستنفره الغضب، ولا يستثيره الحمق، فلو كان الداعي سيءَ الخلق، جافيَ النفس، قاسيَ القلب، لانفض من حوله الناس، وانصرفوا عنه، فحرموا الهداية بأنوار دينهم، فعاشوا وماتوا جهالاً، وذلك هو الشقاء وهو سببه وعلته.

وتتفاوت درجاتُ الناس في الثبات أمام المثيرات، فمنهم من تستخفه التوافه، فيستحمقُ على عجل، ومنهم من تستفزه الشدائد، فيبقى على وقعها الأليم، محتفظاً برجاحة فكره، وسجاحة خُلقه، والرجل الحليم حقاً، هو من إذا حلق في آفاق دنيا الناس، اتسع صدره وامتد حلمه، وعذر الناس من أنفسهم، والتمس المبررات لأغلاطهم، فإذا ما عدا عليه غرٌ يريد تجريحه، نظر إليه من علو، وفعل كما قال الأحنف بن قيس رحمه الله، ما آذاني أحد إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث: إن كان فوقي، عرفت له فضله، وإن كان مثلي تفضلت عليه، وإن كان دوني أكرمت نفسي عنه. وكان مشهوراً بالحلم رحمه الله، وبذلك ساد عشيرته، وقد قيل له: ممن تعلمت الحلم فقال: من قيس بن عاصم، كنا نختلف إليه في الحلم، كما يختلف إلى الفقهاءُ في الفقه، ولقد حضرت عنده يوماً، وقد أتوه برجلٍ قد قتل ابنه، فجاؤا به مكتوفاً فقال: ذعرتم أخي اطلقوه، واحملوا إلى أم ولدي ديته، فإنها ليست من قومنا.

عباد الله:

اعلموا أن الحليم، إما أن يكون عاجزاً جباناً، ليس له شيء ولا عليه شيء، فهذا إن لم يغنم فإنه لا يأثم، وإما أن يكون مخادعاً مكاراً، ظاهره سمت المؤمنين وباطنه حقد المجرمين، يتحلم ظاهراً، ويعُفُّ علناً، ولكنه يغضب باطناً، وينتقم مسرفاً، وهذا حقود لدود، لا يلبث أن يفضحه الله على رؤوس الناس.

وإما أن يكون حليماً، مفطوراً على الخير، مجبولاً عليه، وهذا كأشج عبدالقيس الذي قال له رسول الله ﷺ: «**إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله، الحلم والأناة، فقال: أشيء تَخَلقْتُ به أم جُبلتُ عليه يارسول الله؟ فقال: لا بل جُبلتَ عليه، فقال، الحمد لله الذي جبلني على خصلتين يحبهما الله ورسوله**» [رواه مسلم وأحمد وغيره بألفاظ متعددة].

وإما أن يكون ثائر النفس، أزعجه من ظلمه، فيصبرُ محتسباً، ويصفحُ قادراً ويأمره إيمانه بالعرفِ، والعفوِ عن الجاهلين، وهذا هو المثابُ في الدنيا والآخرة، والمشكورُ عند الله وعند خلقه، وهو الموصوفُ بالشدة والقوة، كما في قول الرسول ﷺ: «**ليس الشديد بالصُرعة ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**» [رواه البخاري ومسلم].

وهو المقصود أيضاً، في قول النبي ﷺ: «**من كتم غيظاً وهو قادر على أن يُنْفِذَه دعاه الله على رؤوس الخلائق، حتى يخيره من الحور العين، يزوجه منها ما شاء**» [رواه أحمد وغيره بسند صحيح].

أيها الناس: قلة الحلم وكثرة الغضب آفتان اثنتان، إذا استشرتا في مجتمع ما قوضتا بنيانه، وهدمتا أركانه، وقادتا المجتمع إلى

هوة سحيقة، بعد أن كانتا كالسوس ينخر في جسد المجتمع المسلم حتى يؤدي به إلى الهلاك والعياذ بالله، وإلا فما تفسير ضياع المجتمعات المسلمة، واندثار آدابها وأخلاقها، وانتشارِ الشتائم، والفحش بين أفرادها على كافة الأصعدة، مما ساعد على تَقطيع الأواصر والروابط، وإشاعةِ أجواء التباغض والتدابر، والتحاسد وإظهارِ الشماتة على الأمة المسلمة من قِبَل أعدائها، قال رسول الله ﷺ: «**إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه**» [رواه مسلم].

وهل الطلاق، وما يكون بين الزوجين من الشقاق، الذي أدى بالزوج إلى كسر ضِلَعِها وضياع أمرها، إلا نتيجة الغضبِ وقلة الحلم؟! ثم بعد ذلك يندمُ ولاة ساعة مندم، ويتأسف على ما مضى، ويرى أنه قد جنى على نفسه بالحرمان، وعلى زوجته بالعقوبة ولا ذنب لها، ويتَّم أولاده وهو لم يزل حياً.

ثم لا تسل بعد ذلك عن محاولات هذا الغِر في الرجوع إلى زوجته، واختلاق الكذب والمعاذير، فيذهب من قاضي إلى قاضي، ومن مفتٍ لآخر، ويستعين على حاجته بكل بر وفاجر، كل ذلك لمحو غلطة ارتكبها دون تفكير أو روية، أو تدرج في التأديب، مما تسبب في هدم لبنة كان بإمكانه معالجتها لو ملك عقله، وأشهر حلمه، وكف غضبه، وما ذنب الولد إذا خرج من بيته هلعاً، مكفهراً وجهه، ضائقاً صدره، ينطلق يمنة ويسره، يبحث عن سبب يزيل به همه، ويجلو به غمه، وسواءٌ عنده تلك الأسباب، كانت من الحلال أم من الحرام، ولربما استبشر به وبأمثاله وحوش الظلام، وذئاب المجتمع فيسير وراء تخبطهم،

ويضيع بضياعهم كل ذلك نتيجة غضبةٍ من أبيه أو أمه، أعقبها سبٌّ وشتمٌ ولطم، وربما طردٌ ولعنٌ، فيبدد بذلك شمل الأسرة، ويجعل البيت ناراً أو بركاناً ثائراً، وإن سمع من جاره شيئاً غضب، ورد أكثر مما قيل له، أو فعل به، فيصبح الجيران أعداء له وخصوماً، يكسب في كل يوم عدواً، ويفقد صديقاً، ويهدم بيتاً، وربما خسر تجارته، أو طُرد من وظيفته، أعاذنا الله وإياكم من الغضب، ومن سوءه وآثاره، ورزقنا وإياكم الحلم والتحلم إنه سميع قريب، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٣، ١٣٤].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلوات الله وسلامه عليه وعلى أتباعه وإخوانه.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله، واعلموا أنه يجبُ علينا جميعاً أن نعمل بتعاليم ديننا الحنيف، وأن نأخذ بإرشادات نبينا صلوات الله وسلامه عليه، كما يجب علينا أن نقصر أنفسنا عن الغضب، ولا نتسرعَ فيما يعود علينا بالحسرة والندامة، والمرءُ المسلم مطالب بكتمان غيظه وإطفاء غضبه بما استطاع من تحلمٍ وتصبر، واستعاذةٍ بالله من النفس والهوى والشيطان، وعليه أن يترفق أولاً في أهله، وثانياً برعيته وجيرانه، وعملائه ومواطنيه، فلا يكون عوناً لزوجته على النشوز، ولأبنائه على العقوق، ولجيرانه على الإساءة، ولرعيته على التمرد، وللناس كافة، على هجره، ومجانبته.

ويختلف الغضب في دنيا الناس، إذ يتراوح صعوداً وهبوطاً، باختلاف الأحوال والظروف، ولكنه من خلال الإطار الشرعي لا يخرج عن ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: مرتبة الاعتدال، بأن يغضب ليدافع عن نفسه أو دينه أو عرضه، أو ماله، ولولا ذلك لفسدت الأرض بانتشار الفوضى، وتقويض نظام الاجتماع، قال رسول الله ﷺ: «**من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون عرضه فهو شهيد ومن قتل دون**

نفسه فهو شهيد» الحديث [رواه أحمد وابن حبان].

المرتبة الثانية: أن ينحط الغضب عن الاعتدال، بأن يضعف في الإنسان، أو يُفقد بالكلية، وهذه الحال مذمومة شرعاً، لاسيما إذا تعلقت بحرمات الله، قالت عائشة رضي الله عنها: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قطُ، بيده، ولا امراةً ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه قط، فينتقم من صاحبه، إلا أن يُنتهك شيءٌ من محارم الله تعالى، فينتقمُ لله تعالى» [رواه مسلم].

والمرتبة الثالثة: أن يطغىٰ الغضبُ على العقل والدين، وربما جر صاحبه إلى ارتكاب جرائم كبيرة، وموبقاتٍ كثيرة، ولا يمكن التخلصُ من هذه العقبة، إلا بفعل ما أرشد إليه النبي ﷺ في قوله: «**إذا غضب أحدكم فليسكت**» [رواه أحمد].

واستب رجلان عند النبي ﷺ فاحمر وجه أحدهما غضباً فقال ﷺ: «**إني لأعلم لو قال [أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لذهب عنه ما يجد]**» [رواه البخاري ومسلم].

هذا وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب صاحب الحوض والشفاعة.

كلكم لآدم وآدم من تراب

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبدهُ ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [سورة النساء، الآية: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن الناس مازالوا منذ أذن فيهم إبراهيم عليه السلام بالحج، يفدون إلى بيت الله الحرام في كل عام، من أصقاع الأرض كلها، وأرجاءِ المعمورة جميعها، مختلفةً ألسنتهم، متباينةً بلدانهم،

متمايزةً ألوانهم، يفدون إليه، وأفئدتهم ترف إلى رؤيته والطواف به، الغني القادر والفقير المعدم، ومئات الألوف من هؤلاء، يتقاطرون من فجاج الأرضِ البعيدة، تلبيةً لدعوة الله، التي أذن بها إبراهيم عليه السلام، منذ سنين عديدة.

أيها المسلمون: إنه ليس من المستغرب أن يذكر المسلم شيئاً من قصة إبراهيم خليل الرحمن وشيخ الأنبياء، مع قومه المجرمين الظالمين، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**اقتلوا الوزغ، فإنه كان ينفخ النار على إبراهيم**»، وفي رواية لأحمد: «**إن إبراهيم لما ألقي في النار جعلت الدواب كلها تطفيء عنه إلا الوزغ، فإنه جعل ينفخها عليه**».

سبحانك يارب، أيُ دين هذا الذي هديتنا إليه، ورزقتنا اتباعه، أيةُ مشاركةٍ تلك المشاركة، التي أوجدها الإسلام بين أفراده!!

منذ مئات السنين، وكلما رأى المسلمون وزغاً سارعوا إلى قتله. لماذا؟ أمن أجل أنه دويبةٌ صغيرة؟ فإن الدواب الصغار كثير، ولم نؤمر بقتلها جميعاً، أم من أجل أنه يلحق بالحشرات الضارة، فإن الحشراتُ الضارة لا تحصى، إذاً من أجل ماذا؟ من أجل أنه كان ينفخ النار على أبينا إبراهيم عليه السلام، ولأجل أن عدو إبراهيم إنما هو عدوٌ لكل مسلم، وسيبقى المسلمون على ذلك حتى يبعث الله الأرض ومن عليها، فلا وُد ولا محبة لأعداء الدين، ولو كانوا حشراتٍ صغيرةً كالأوزاغ.

إذاً، فالمسلمون كالجسد الواحد؛ إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر، وبذلك يصير الدين الخالصُ أساسَ أخوةٍ وثيقةِ العرى، تؤلفُ بين أتباعه، في مشارق الأرض ومغاربها، وتجعلُ منهم على اختلاف الأمكنة والأزمنة، وحدةً

راسخة الدعامة، شامخة البناء، وهذه الوحدة هي روحُ الإيمان الحي، ولُبابُ المشاعرِ الرقيقة، التي يُكنها المسلم لإخوانه،حتى إنه ليحيا بهم، ويحيا معهم، وكأنهم أغصانٌ انبثقت من دوحة واحدة.

إن الأثرة الغالبة آفةُ الإنسان، وخدشُ فضائله، إذا سيطرت نزعتها على امرئٍ محقت خيره، وأحيت شره، وحصرته في نطاقٍ ضيقٍ خسيس، لا يعرف إلا نفسه، ولا يهتاجُ بالفرح أو الحزن إلا لما يمسه من خير أو شر، أما الدنيا العريضة، والألوفُ المؤلفةُ من البشر المسلمين، فهو لا يعرفهم إلا في حدود ما يصل إليه عن طريقهم، ليحقق آماله أو يثير مخاوفه.

وقد حارب الإسلامُ هذه الأثرة الظالمة بالأخوة العادلة، فمن حق أخيك عليك أن تكره مضرته، وأن تبادر إلى دفعها، أما أن تكون ميت العاطفة، قليل الاكتراث ـ لأن المصيبة وقعت بعيداً عنك، فالأمر لا يعنيك ـ فهذا تصرفٌ لئيم، وهو مبتوت الصلة بمشاعر الأخوة العامرة، التي تمزج بين نفوس المسلمين، فتجعل الرجل يتأوه للألم ينزل بأخيه.

أيها المسلمون: إن الحجاج إذ يستبدلون بزيهم الوطني زي الحج الموحد، ويصبحون جميعاً بمظهر واحد، لا يتميز شرقيهم عن غربيهم، ولا عربيهم عن عجميعهم، كلهم لبسوا لباساً واحداً وتوجهوا إلى رب واحد، بذكر واحد: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك، وتراهم وقد نسوا كل الهتافات الوطنية وخلفوا وراءهم كل الشعارات القومية، ونكسوا كل الرايات العصبية، ورفعوا راية واحدة هي راية لا إله إلا الله، محمد رسول الله، يطوفون حول

بيت واحد، مختلطةً أجناسهم وألوانهم ولغاتهم، يؤدون نسكاً واحداً.

إن الإسلام يوم شرع الحج للناس، أراد فيما أراد من الحكم، أن يكونوا أمةً واحدة، متعاونةً متناصرة، متآلفةً متكاتفة، كمثل الجسد الواحد.

وبهذه الصفة وتلك الجموع يقرر الإسلام أنه ليست هناك دواع معقولة، تحمل الناس على أن يعيشوا أشتاتاً متناكرين، بل إن الدواعي القائمة على الطريق الحق، تمهد للمسلمين مجتمعاً متكافلاً تسوده المحبة، ويمتد به الأمان على ظهر الأرض، والله عزوجل رد أنساب الناس وأجناسهم إلى أبوين اثنين، ليجعل من هذه الرحم، ملتقى تتشابك عنده الصِّلات، وتستوثق العرى. ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ [سورة الحجرات، الآية: ١٣]. إنه التعارفُ لا التفاخُر، والتعاونُ لا التخاذل، فأما اختلاف الألسنة والألوان. واختلافُ الطباع والبلدان، فتنوعٌ لا يقتضي النزاع والشقاق، بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف، والوفاء بجميع الحاجات.

وليس للون والجنس واللغة والوطن، وسائر المعاني من حسابٍ في ميزان الله، إنما هنالك ميزانٌ واحد، تتحددِ به القيم، ويعرف به فضلُ الناس ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [سورة الحجرات، الآية: ١٣]، والكريم حقاً هو الكريم عند الله، فهو يزنكم عن علم وخبرة ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة الحجرات، الآية: ١٣].

وأخوةُ الدين تفرض التناصر بين المسلمين، لا تناصر العصبيات العمياء، بل تناصرُ المؤمنين المصلحين، لإحقاق الحق

وإبطال الباطل، وردع المعتدي وإجارة المهضوم، فلا يجوز ترك مسلمٍ يكافح وحده في معترك، بل لابد من الوقوف بجانبه على أي حالٍ، لإرشاده إن ضل، وحجزه إن تطاول، والدفاع عنه إن هوجم، والقتال معه إذا استبيح، وذلك، معنى التناصر الذي قرره الإسلام، قال رسول الله ﷺ: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**» [رواه البخاري وغيره].

ومما اتخذه الإسلام لصيانة الأخوة العامة، ومحو الفروق المصطنعة، توكيد التكافؤ في الدم والتساوي في الحق، وإشعار العامة والخاصة بأن التفاخر بالأنساب والألوان والأجناس، أمرٌ باطل، «لأن الكل من آدم وآدم من تراب» فما يفضل مسلمٌ صنوه إلا بميزةٍ يحرزها لنفسه بكده وجده، ألا وهي التقوى، فمن لا تقوى له، لم ينفعه أسلافه ولو كانوا تقاة الدنيا.

أيها المسلمون: لقد كان كل شيء يهون على كفار قريش، إلا تحطيم الفخر بالأنساب، والاغترار بالآباء والأجداد، وما كان يخفى عليهم ما في عقائدهم من سخف، ولم يخف عليهم أن ما يدعوهم إليه محمد ﷺ خير مما هم عليه من عقيدة، ولكنهم كانوا يدفعونها بكل ما يملكون من قوة.. لماذا؟ وما هو السبب؟ لأن ما يدعوهم إليه محمدٌ ﷺ فيه تحطيمٌ لسيادتهم وفوارقهم واعتزازهم بأنسابهم. فقد كانت جمهرة الحجيج تقف بعرفات وتُفيضُ منها، أما قريش.. فكانت تقف بالمزدلفة ومنها تُفيض، فجاء محمد ﷺ وهو من أشراف قريش يقف بعرفات، ويأمر الله قريشاً فيقول: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٩٩] تحقيقاً للمساواةِ بين المسلمين.

وكان الرجل من أشراف قريش يأنفُ أن يزوج ابنته أو أخته من

الرجل العربي من عامة الناس، فجاء محمد ﷺ ـ وهو من قريش ـ فزوج ابنة عمه زينب بنت جحش من مولاه زيد، وثبت عنه ﷺ أنه قال: «**يا بني بياضة، أنكحوا أباهند، وأنكحوا إليه**» [رواه أبو داود والحاكم بسند جيد] وكان حجاماً رضي الله تعالى عنه.

وبهذا كله.. يقف الإسلام فريداً بين جميع أنظمة الدنيا، التي عرفها البشر قديماً وحديثاً. ويقف الإسلام. فريداً في مداراته لجميع أسباب النزاع والخصومات في الأرض، وإرخاصه لجميع القيم التي يتكالب عليها الناس، ليرفع لواء ضخماً واحداً، يتسابق الجميع ليقفوا تحته، ألا وهو لواءُ التقوى؛ الذي رفعه الإسلامُ لينقذ البشرية من أخطبوط العصبية للجنس، والعصبية للأرض، والعصبية للقبيلة، بل والعصبية ضد الرق ليقول ﷺ: «**من قتل عبده قتلناه، ومن جدع عبده جدعناه، ومن أخصى عبده أخصيناه**» [رواه أحمد والأربعة]، وينقذ البشرية من عصبية الرجل ضد المرأة، في الوقت الذي كانت الجاهليةُ تئدُ فيه البنات، فيقول الله عزوجل: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ [سورة التكوير، الآيتان: ٨، ٩] ويقول ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾ [سورة النساء، الآية: ٣٢] قال ﷺ: «**ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية. تحت قدميَّ موضوع**» [رواه مسلم وأبو داود وابن ماجة وغيرهم].

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الداعي إلى رضوانه، صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه.

أما بعد:

فياأيها المسلمون: إنه في الوقت الذي جاء الإسلام فيه محارباً للعصبية، ومبطلاً لها، لم يترك باباً من أبوابها إلا أغلقه، ولا نافذة من نوافذها إلا طمسها، سوى عصبيةٍ واحدة، ذاتِ صفةٍ محمودة، وطبع مندوب، ألا وهي العصبية للدين والعقيدة الصحيحة، فلا توالي إلا في الدين، ولا تعادي إلا فيه، تحب من أحبه ولو كان أبعد بعيد، وتبغض من أبغضه ولو كان أقرب قريب، لا تغضب إلا لله، ولا تنتصر إلا لله، لله وحده، واعلموا أيها المسلمون، أن من لم يحمل شيئاً من ذلك، فهو ممقوت عند الله، منبوذ بين المسلمين تنفر منه الطباع السليمة، والقلوب المؤمنة، لا يحلو له طعام، ولا يهنأ له شراب، ولا يجد أثر السعادة، ولا يذوق حلاوة الإيمان، فهو نطيحة متردية. نعوذ بالله من ذلك.

ثم اعلموا أيها المسلمون أنكم وإن وفقتم لنزع العصبية الجاهلية من قلوبكم، وطهرتم منها مجتمعكم فلن تسلموا من عصبية كبرى خارجة عن إرادتكم، وهي ليس بأيديكم، ولا يمكن لمسلم ولا مسلمة أن يعيش على هذه البسيطة، إلا وينال من بلائها، ويذوق من مرارتها، إنها عصبية الكفار لكفرهم، تلكم

العصبيةُ التي تغلي في نفوسهم ضد المسلمين، والتي لم يسلم منها أحد حتى رسولُ الله ﷺ، فهذه العصبية باقيةٌ إلى قيام الساعة، لا تنطفيء نارُها، ولا ينام أربابها، وربما تقنعوا بأقنعة كثيرة لتغطيتها، إلا أنها لا تخفى على ذي لُبٍ من المسلمين.

وهي وإن علت تارةً، وانخفضت أخرى، إلا أنها في هذا العصر، قد كشرت عن أنيابها، وشمرت عن سواعدها، فلم تعد تلكم الأقنعة، تجدي، ولم يبق لذلك التلون من سبيل، إذ لم يبق إلا أن أعلنوها صريحةً واضحة، وهذا الإعلان، وتلكم الصراحة، لم تكن بخط اليد، ولا بنطق اللسان فحسب، بل بنطق الدماء، وبكاء الثكالى، وأنين الأيتام إنه الدمُ المسلمُ المهراق.

فاتقوا الله أيها المسلمون، وصلوا على من أمركم الله بالصلاة عليه، فقال عز من قائل عليم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٥٦]،

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين.

اللهم فرج هم المهمومين من المسلمين، ونفِّس كرب المكروبين، واقض الدين عن المدينين، واشف مرضانا ومرضى المسلمين. برحمتك يا أرحم الراحمين.

ربنا آتنا في الدنياحسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله اذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.

خطبة الخسوف[1]

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا. من يهده الله فلا مضل له. ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبدهُ ورسوله.
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٢].
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [سورة النساء، الآية: ١].
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فقد خسفت الشمس في عهد رسول الله ﷺ فقام رسول الله ﷺ

(١) هذه الخطبة ألقيت ارتجالاً وأثبتت هنا بعد أن فرغت من الشريط المسجل.

يصلي، فظن الناس أنها خسفت لموت ابنه إبراهيم.

فلما انصرف من صلاته خطب الناس؛ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**إن الشمس والقمر من آيات الله وإنهما لا ينخسفان لموت أحدٍ ولا لحياته فإذا رأيتموهما فكبروا وادعوا الله وصلوا وتصدقوا، ياأمة محمد إنْ من أحدٍ أغْيَّرُ من الله أن يزني عبده أو تزني أمته، ياأمة محمد والله لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً، وقال رأيت في مقامي هذا كل شيء وُعدتم، ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً، وإني رايتكم تفتنون في القبور كفتنة الدجال.**

عرضت علَّى النار فرأيت امرأة من بني إسرائيل تعذب في هرة لها. ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض.

وقال: رأيت النار فرأيت أكثر أهلها النساء قالوا بم؟ قال بكفرهن، قيل: أيكفرن بالله؟ قال يكفرن العشير، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً قالت ما رأيت منك خيراً قط، ثم قال: فما من شيء توعدونه إلا قد رأيته في صلاتي هذه» [رواه مسلم].

أيها المسلمون: إن هذا الحدث الكوني من خسوف القمر وكسوف الشمس قد اشترك المسلم والكافر في معرفته قبل حدوثه، ولكن ينبغي أن يتميز المسلم عن الكافر بأن يؤدي ما أمر به الرسول ﷺ من الصلاة والفزع والدعاء والذكر والتوبة.

أيها المسلمون: إن هذه الآيات وهذه الابتلاءات جعلها الله أسباباً ليستيقظ المسلمون من غفلتهم، ويحاسبوا أنفسهم، ويلتفتوا إلى واقعهم فيصححوا ما فيه من أخطاء. إن الأمة الإسلامية في هذا الوقت قد بلغت من الذل والمهانة ما الله به

عليم، وتشققت عصاها، فإخواننا في البوسنة والهرسك يشكون اعتداء الصرب، وفي الصومال يشكون الجوع وهناك يشكون الزلازل، ولا يخلو مكان من بلاد المسلمين إلا وفيه مصيبة وفتنة.

مالي وللنجم يرعاني وارعاه
امسى كلانا يعاف الغمض جفناه
أنَّىٰ اتجهت إلى الإسلام في بلد
تجده كالطير مقصوصاً جناحاه
كم صرفتنا يد كنا نصرفها
وبات يحكمنا شعب ملكناه

أيها المسلمون: لقد قال الله عزوجل: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [سورة النور، الآية: ٥٥].

وقال: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٨٢].

﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ ﴾ [سورة النساء، الآية: ١٤١].

ولسائل أن يسأل ويقول: إن الله قد وعد عباده المؤمنين بالرفعة والعلية والتمكين، وهو صادق الوعد، ومع ذلك نرى في هذا العصر خلاف ذلك؛ فأهل الإسلام هم أضعف الناس، ودم المسلم هو أرخص الدماء المهراقة.

قتل امريء في غابة جريمة لا تغتفر
وقتل شعب كاملٍ مسألة فيها نظر

فأقول: نعم لقد وعد الله بذلك وهو صادق الوعد ولا يخلف الميعاد. ولكنني أقول إن الوعد الذي وعد به الله إنما هو للمؤمنين الصادقين الذين توفرت فيهم ركائز الإيمان، فإن هؤلاء المؤمنين الذين وعدهم الله عز وجل بالنصرة والغلبة قد بين صفاتهم في كتابه فقال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [سورة الأنفال، الآيات: ٢ـ٤] فهذه خمس صفات ذكرها الله عزوجل.

الصفة الأولى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ أي خشعت لله وذلت واستكانت لربها وخالقها.

وأكثر ذكره في الأرض دأباً
لتذكر في السماء إذا ذكرت
وناد إذا سجدت له اعترافاً
بما ناداه ذا النون بن متى

الصفة الثانية: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ وذلك مصداقاً لقوله: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [سورة التوبة، الآيتان: ١٢٤، ١٢٥].

فإذا تلوا آيات الأمر ائتمروا بها، وإذا تلوا آيات النهي انتهوا عنها.

الصفة الثالثة: ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ أي يعتمدون ويفوضون أمرهم إلى الله، وأنه لا غالب إلا الله، ولا ناصر إلا

الله، وأن الأمة لو اجتمعت على أن يضروا الإنسان لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه، ولو اجتمعوا على أن ينفعوه لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له.

وإني لأدعو الله حتى كأنما
أرى بجميل الظن ما الله صانع

الصفة الرابعة: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾. أي يؤدونها حق تأديتها بتوفر شروطها وأركانها وواجباتها وعملاً بقوله ﷺ: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**» [رواه البخاري].

فقل لبلال العزم من قلب صادق
أرحنا بها إن كنت حقاً مصلياً
توضأ بماء التوبة اليوم مخلصاً به
ترقى أبواب الجنان الثمانيا

وهم مع ذلك يواظبون عليها، ولا يؤخرونها عن وقتها حتى في أحلك الظروف؛ أمام العدو كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ ..﴾ [سورة النساء، الآية: ١٠٢].

نحن الذين إذا دعو لصلاتهم
والنار تسقي الأرض جاماً أحمراً
جعلوا الوجوه إلى الحجاز فكبروا
في مسمع الروح الأمين فكبرا

الصفة الخامسة: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ٣﴾. عملاً بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٦٧]. وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [سورة البقرة،

الآية: ٢٥٤].

وقد عرف ذلك عن الصحابة رضي الله عنهم. فهذا عمر ينفق نصف ماله، وهذا أبوبكر ينفق ماله كله في سبيل الله.

إن الكريم ليخفي عنك عسرته
حتى تراه غنياً وهو مجهود

إذاً أيها الأخوة هذه خمس صفات ذكرها الله عزوجل عن المؤمنين فلتنظروا في حالنا، فإن تحققت فأبشروا بالنصر ويتحقق وعد الله، وإن كان غير ذلك فحذار أن:

نعيب زماننا والعيب فينا
وما لزماننا عيبٌ سوانا

أيها المسلمون: علينا جميعاً في هذا المكان الطاهر أن نتوب إلى الله ونبتهل إليه ونستغفره من ذنوبنا فإن باب التوبة مفتوح، قال عزوجل: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [سورة التوبة، الآية: ١٠٤].

وقال ﷺ: «**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**» [رواه أحمد والترمذي وغيرهما].

وتقبل التوبة قبل الغرغرة
كما أتى في الشريعة المطهرة
كذاك لا يكون سد بابها
قبل طلوع الشمس من مغربها

ولكن ياعباد الله اعلموا أن التوبة لها شروط ذكرها أهل العلم، وهي: الندم على ما مضى، والعزم على ألا يعود، والإقلاع عن المعصية. وإن كان بينه وبين مخلوق مظلمة فإنه يؤديها إليه، أو يطلب العفو منه.

شروط توبتهم إن شئت جملتها
ثلاث رتبت فافهم على مهل
إقلاعه ندم وعزمه أبداً
ألا يعود لما منه جري، وقل:
إن كان توبته من ظلم صاحبه
لابد من رده الحق في عجل

أرباب السحر والكهانة

الخطبة الأولى

الحمد لله الكريم الوهاب، خالق خلقه من تراب، غافرِ الذنب وقابلِ التوب شديد العقاب، ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير، وأشهد أن لا إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خيرُ من صلى لربه وأناب، صلى الله عليه وعلى آله والأصحاب، ومن سار على نهجهم واتبع طريقهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها الناس: إن وضع كثير من الناس في هذا العصر وضع عجيب، وضع اختلط فيه العلمُ بالجهل، والحقيقةُ بالخرافة، وهذا الوضع العجيبُ في هذا العالم الفسيح بدا ظاهره جميلاً خلاباً، يخدع السذج والرعاع، ويفتن قلوب الدهماء من الناس، وفي المقابل.. بدا باطنه سيئاً نتناً، يتجافى عنه أولو الألباب، وينفرُ منه ذووا الفطر السليمة، والقلوب المستنيرة.

إن الله جل وعلا قد أكرم أمة الإسلام بنعمتين عظيمتين، لا يمكن أن تستقل إحداهما دون الأخرى، ألا وهما نعمتا الدين

والعقل، نعمةُ الدين الصحيح ونعمة العقل الصريح، فلا دين بلا عقل، إذ لا تكليف حينئذٍ. ولا عقل بلا دين إذ أنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، والدين الصحيح قد أكمله الله بخاتم النبيين وسيد المرسلين صلوات ربي وسلامه عليه، فلا نسخ بعد وفاته ولا تبديل، وسيبقى الدين على ذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، بيد أن العقل لدى كثير من الناس في هذا العصر، قد كبا كبوة مثيرة، وزل زلة خطيرة، فجمهور من الناس قد أصابتهم لوثات وعلل؛ أزرت بقدراتهم العقلية، مذ أسلموا عقولهم لأيادي الهدم التي لبست قفاز العلم، واستطاعت من وراء هذا القفاز أن تصافح كثيراً من العقول، وأن تتسلل إلى كثير من البيئات والأوساط، دون أن يداخل الناس شك في أمرها، والتي أدت إلى تلوث الحياة الاجتماعية لدى كثير من المسلمين، بسبب تخلفهم، وإبان غفلة من علمائهم وفقهائهم.

وإن مما يؤخذ على كثير من الناس في عصرهم الحاضر، عدم الالتزام بالمنهج الصحيح، فيما يتعلق بأمور الغيب، حيث آمن بعضهم بالخرافة، ورضي آخرون بالكهانة، فباتوا سادرين على باطلهم، لاهين بالسجع والتخمين، يقذفون بالغيب في كل حين، ناسين أن الغيبيات لا مصدر لها إلا الكتابُ والسنة، أما أخبارُ الناس فليست مصدر علم غيبي، بل إنها محور أساطير وأوهام، وخليطُ كلام يأتي به مسترقوا السمع من السماء، والإسلام دين يزيل الخرافة من الفكر، والرذيلة من القلب، والشرود من المسيرة، فالإيمان بالغيب ليس إيماناً بالوهم، ولا إيذاناً بالفوضى.

عباد الله:

لقد توصل بعض الباحثين في تاريخ البشرية، والنفس الإنسانية، إلى أن كثيراً من الناس، لهم ولع شديد بمعرفة الغيب، والتطلعُ إلى هذا طبيعةٌ بعض البشر، ولذلك تجد كثيراً من الناس يتشوفون إلى الوقوف على ذلك في المنام.

ومن هذا المنطلق لم يقنع البعض من البشر بما أخبرتهم به رسلهم؛ من غيوب ماضية، وغيوب آتية، فذهبوا يتكشفون الغيب الماضي والحاضر، وزعموا بذلك أن لبعض البشر قدرةً وملكةً على معرفة الغيب، فقام في كل عصرٍ وفي كل مصرٍ، أقوام يزعمون أن لديهم القدرة على معرفة الأحداثِ الآتية، والكائنات الغائبة.

لقد جرَّت الحياةُ المادية الجافة، بلاءً عظيماً للبشرية، فقست القلوب، وجفت ينابيعُ الخير في أرواح كثير من الناس في هذا العصر، فبرزت العقدُ والمشكلات النفسية، التي أصبحت سمةً بارزةً في هذا العصر، فأخذ كثير من الذين فقدوا راحة القلب، وطمأنينة النفس، وطعم الإيمان في قلوبهم، أخذوا يلجئون إلى السحرة والمشعوذين؛ يبحثون عندهم عن حل لمشكلات عجزوا هم عن حلها، فكانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار، ولسان حالهم يقول: وداوني بالتي كانت هي الداءَ.

وشر البلية ضلال بعد الهدى، وعمى بعد البصيرة، فلقد خلق الله الخلق يميلون بفطرهم إلى التوحيد؛ دين الفطرة، فانحاز الشياطينُ بفريق منهم، فحولوهم عن طريق الهدى، وانحرفوا بهم عن مسلك الرشاد، قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه: «**خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين**»، وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ

يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٢٨]، فهؤلاء الجن أضلوا كثيراً من الإنس بتزيينهم الباطل والضلال لهم، وإن من الباطل الذي زينه الشياطين واستدرجوا الإنس إليه، تعاطي السحر بمختلف صوره وأشكاله، وتصديق الكهنة، والاعتماد على كذب المنجمين والرمالين والدجاجلة والمشعوذين، الذين يزعمون الاطلاع على الغيب والكشف عن المخبأ.

ولا ينبغي أن يغيب عن بالنا جميعاً أن السحر يقوم في بعض صوره، على الاتصال بالجن من شِرار الخلق، وينبغي أن يكون ذلك مسلماً عند كل مسلم قرأ ما جاء في قصة هاروت وماروت، وما جاء من الاستعاذة بالله من السحرة، وشر شرار خلقه ـ من الجن والإنس ـ في المعوذتين.

أيها الناس: إن السحر حقيقة موجودة، ولها تأثير في واقع الناس، ولو لم يكن موجوداً وله حقيقة لما وردت النواهي عنه في الشرع، والوعيد على فاعله، والعقوباتُ الشرعية على متعاطيه، فكم فرّق السحرة بين زوجٍ وزوجته، وبين صديق وصديقه، وتاجرٍ وتجارته، وموظفٍ ووظيفته. وكل هذا حقيقة لا مكابرة فيها.

أيها المسلمون: لقد عرف من خلال تتبع أحوال السحرة والمسحورين، أن للسحر أنواعاً كثيرة، من حيثُ تأثيرها على المسحور؛ فمنه سحر التفريق الذي قال الله فيه: ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٠٢]. ومنه سحرُ المحبة، الذي سماه رسول الله ﷺ بـ

«التولة» حيث قال صلوات الله وسلامه عليه: «**إن الرقي والتمائم والتولة شرك**»[رواه أحمد وأبو داود] والتولة: هو ما يصنعونه ويزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، وهو ضرب من السحر، وإنما جعله رسول الله ﷺ من الشرك، لما يراد به من دفع المضار، وجلب المنافع من غير الله تعالى.

ومن السحر أيضاً، سحرُ التخييل، كأن يرى الشيء الثابت متحركاً، والمتحرك ثابتاً، كما قال تعالى عن موسى ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ [سورة طه، الآية: ٦٦].

ومنه سحرُ الخمول، بحيث يحبب إلى المسحور حب الوحدة، والصمت الدائم، والشرود الذهني، وما شابه ذلك من ألوان السحر وضروبه. ومن الأمور المغرضة المبنية على السحر والشعوذة والتدجيل، ما يروجه أدعياءُ الروحية الحديثة، تلكم الدعوة الهدامة التي يزعم أربابها أنهم يحضرون أرواح الموتى بأساليب علمية، ويستفتونهم في مشكلات الغيب ومعضلاته، ويستعينون بهم في علاج المرضى، والإرشادِ على المجرمين، والكشف عن الغيب، ويدَّعون أن الأرواح التي تخاطبهم تعيش في هناء وسعادة رغم أنها كافرة، ليهدموا بذلك عقيدة التوحيد، والبعثِ والجزاء، والإيمان والكفر، والجنة والنار.

وكل ذلك يكون تحت شعارات براقة؛ كالإنسانية والإخاء، والحرية والمساواة، للتمويه على السذج والبسطاء، وعملهم كله منصب على زعزعة الدين من النفوس، وكلامهم صريح في أن الروحية الحديثة دين جديد، يدعوا إلى العالمية، ونبذ كل الأديان، ليستلوا بذلك الإيمان من صدور الناس، ويسلموهم إلى خليط مضطرب من الظنون والأوهام.

وأعمال أولئك الروحيين تدخل في واحد من أقسام ثلاثة؛ أولها: الغش والخداع، وثانيها: التأثيرُ المغناطيسي على الحاضرين، وثالثها: الاتصال بشرار خلق الله من الجن.

وأول من سار في ركاب هذه الفكرة هي الأمة الكافرة، التي اكتنفتها كل صور الإباحية والإلحاد، ولئن نستنكرُ على أمم الكفر ما يسمى مجالس تحضير الأرواح، فإننا لنستغرب من بعض المسلمين عدم مبالاتهم بالأمر ونتائجه، فربما سمح أحدهم لنفسه طمعاً في استكشاف غيب، أو إبراء مريض كما يزعمون، أن يحضر تلك المجالس، وربما وضع الجنُّ له طعماً في كلمة تصدق، أو حاجةٍ تُقضى، فيلقى لها زمامه كله، فإذا هو بعد حين، ناكب عن الصراط المستقيم، والجن لهم قدرة أبعد مدى من قدرة البشر، ولكنهم لا يعلمون الغيب، وما يكون غيباً أحياناً بالنسبة لنا، قد يكون عياناً بالنسبة لهم، لما وهبهم الله من قوة خارقة، كما قال تعالى عن عفريت سليمان: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [سورة النمل، الآيتان: ٣٩ـ٤٠] يعني بذلك عرش ملكة سبأ.

فأنت ترى أيها المسلم أن الحِدأة، ترى من الجو ما لا نراه نحن تحت أقدامنا، ومع ذلك لا يمكن أن يقال إنها تعلم الغيب، وبالتالي فإن ما يدور في مجالس تحضير الأرواح لا يدل على شيء ذي بال، ولا يسوغ أبداً أن يكون ذريعةً لترك ما نعلمُ من شرائع الإسلام.

عباد الله:

أما الكهانة والتنجيم، فحدث عن المحزن المبكي ولا حرج.

المحزن. حينما ترى الترهات، وتسمع الرجم بالغيب من أخلاء الشياطين، والمبكي.. يوم أن ترى الرعاع من المسلمين لا هم لهم إلا أن ينصتوا إلى دجل الدجالين، ومدعي قراءة الكف والفنجان، وإلى السيل المتضارب من تنبؤاتهم عما سيحدث في العالم، خلال يوم جديد، أو أسبوع سيطل، أو شهرٍ أوشك حلوله، أو عامٍ مرتقب، ويمضي الكثيرون في دجلهم، ويحددون بذلك مستقبلَ الأبراج، فسعيدون هم؛ أصحاب برج الجدي. وأغنياء هم؛ أصحاب برج العقرب، أما أصحاب برج الجوزاء فيالتعاسة الحظ، وخيبة الأمل، إلى غير ذلك من سيل الأوهام الجارف.

وإن لنا ياعباد الله، في أحقاب الزمن من ذلك أشكالاً وألواناً، يمثله أدعياء الكهانة والتنجيم، والتخمين والتدجيل، فهذا ابن صياد ـ الكاهن الذي ادعى النبوة ـ لقيه رسول الله ﷺ في الطريق فقال له: «**قد خبأت لك خبئاً**»، قال ابن صياد: هو الدخ، فقال رسول الله ﷺ: «**اخسأ، فلن تعدو قدرك**». [رواه البخاري]. فابن صياد أراد أن يقول هو الدخان، فلم يستطع فقال هو الدخ، وفي رواية عند أحمد أن رسول الله ﷺ قال: «وخبأت له يوم تأتي السماء بدخان مبين» فابن صياد اندهش، فلم يقع عليه من إلقاء الشيطان، إلا بعض لفظ «الدخان» وهو «الدخ».

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «أن علياً بن أبي طالب رضي الله عنه، عندما أراد المسير لقتال الخوارج، عرض له منجمٌ فقال له: يا أمير المؤمنين لا تسافر فإن القمر في العقرب، فإنك إن سافرت والقمر في العقرب هزم أصحابك، فقال علي رضي الله عنه: بل نسافر ثقة بالله، وتوكلاً على الله، وتكذيباً لك،

فسافر فبورك له في ذلك السفر، حتى قتل عامة الخوارج، وكان ذلك من أعظم ما سُر به رضي الله عنه.

ومن تلك المفتريات التي دونها التاريخ، وأصبحت وصمة عار على جبين الكهان والمنجمين؛ هو كذبهم حينما ادعوا أن الخليفة المعتصم لا يمكنه فتح مدينة عمورية قبل أن ينضج التين والعنب، وانتشر الخبر بين الناس، فأكذب الله المنجمين وأعز المسلمين، وكان الفتح استجابة لصرخة امرأة مسلمة أذلها الروم، فصاحت وامعتصماه، فبرز أحد الشعراء بقصيدة عصماء، عرَّض فيها لدجل المنجمين وكذبهم، فمما قال:

السيف أصدق أنباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب
أين الرواية بل أين النجوم وما
صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
وخوفوا الناس من وهياء مظلمةٍ
إذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب
تسعون ألفاً كآساد الشرى نضجت
أعمارهم قبل نضج التين والعنب

وعندما ظهر كذب أدعياء الغيب، لم يكف الناس عن تصديق مثل هذه الخزعبلات، فلايزال يظهر بين الفينة والأخرى مسيلمة آخر، ودجالون كذابون، والله المستعان.

فاتقوا الله **أيها المسلمون**، واعلموا أن التوحيد ينبغي أن يغمر قلوب الناس، ليصبح توحيداً خالصاً، فلا يعتصم الناس إلا بالله، ولا يلجأون إلا إلى الله، فالله وحده هو الذي عنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو، ويعلم ما في البر والبحر، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولاحبة في

ظلمات الأرض، ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [سورة الفلق، الآيات: ١ـ٥].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، أقول ما تسمعون، واستغفر الله فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون، واعلموا أن السحر والشعوذة والكهانة انحراف قديم، أضل به الشيطان جبلاً كثيراً من بني الإنسان، وأفسد بذلك فطرتهم، وعبَّدهم لغير الله، فأوبقهم وأهلكهم، والإسلام لا يرضى لأتباعه، أن يلجأوا إلى السحر والسحرة؛ لا في كشف المخبأ، ولا في حل السحر عن المسحور. فالساحر ضال كافر، خارج عن ملة الإسلام، قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [سورة طه، الآية: ٦٩] فقد نفى الله الفلاح بجميع أنواعه عن الساحر، وذلك دليل على كفره، لأن الفلاح لا ينفى بالكلية نفياً عاماً، إلا عمن لا خير فيه، وهو الكافر، وقد عرف باستقراء القرآن أن الغالب فيه، أن لفظة (لا يفلح) يراد بها الكافر، ومن تتبع آيات القرآن وجد ذلك.

وقال تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٠٢]. ووجه ذلك الكفر، هو أن الشياطين خبيثةٌ نفوسُهم، فإذا تقرب صاحب العزائم والأقسام إليهم بما يحبونه من الكفر والشرك، صار ذلك كالرشوة لهم، فيقضون بعض أغراضه، ولهذا فإن كثيراً من السحرة يتقرب إلى الشياطين؛ بالسجود لهم، أو يذبح لهم، أو يستغيث بهم، أو يطأ على المصحف، أو يبول عليه، أو يوقع النجاسة عليه، أو ما شابه ذلك من أنواع الكفر والضلال.

وحدُّ الساحر ضربُهُ بالسيف، كما صح ذلك عن جمع من

الصحابة رضي الله عنهم وثبت في البخاري عن عمر رضي الله عنه أنه قال: «اقتلوا كل ساحر وساحرة» وقتل ثلاثُ سواحر على عهد عمر رضي الله عنه.

وروى البيهقي «أنه كان عند الوليد بن عقبة رجل يلعب، فذبح إنساناً فأبان رأسه ثم أعاده فقال الناس: سبحان الله يحيي الموتى، فجاء جُندَبُ الأزديُّ فقتله، وقال: إن كان صادقاً فليحيي نفسه».

أما الكهانة والعرافة فداء خطير، وشر مستطير، حسم الشرع أمره، فقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم يقبل له صلاة أربعين ليلة**» الله أكبر، لم تقبل له صلاة أربعين ليلة لمجرد سؤالٍ سأله، إذاً فكيف تكون حالُ من يسألُ الكاهن فيصدقه بما يقول؟ هذا ما ذكره رسول الله ﷺ في الحديث الآخر بقوله: «**من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد**» [رواه أحمد وغيره بسند صحيح].

فإذا كانت هذه حال السائل، فكيف بحال المسؤول أيها المسلمون، إنه الكفر البواح، والضلال المبين.

وربما يغتر بعض السذج من الناس فيقولون: إن هؤلاء العرافين والكهان يحدثوننا بأشياء تصدق أحياناً، فكيف نصفهم بالكفر والضلال، فنقول لهم: قد ثبت عن النبي ﷺ أنه سُئل عن الكهان؟ فقال: «**ليسوا بشيء**» فقالوا يارسول الله، إنهم يحدثون أحياناً بالشيء يكون حقاً، فقال رسول الله ﷺ: «**تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرقرها في أذن وليه، كقرقرة الدجاج، فيخلطون معها، أكثر من مائة كذبه**» [رواه البخاري].

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾ [سورة الشعراء، الآيات: ٢٢١-٢٢٣].

ثم اعلموا أيها المسلمون: أن في عالم الخفاء من الجن شريرين ومفسدين وكفاراً ضالين ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ﴾ [سورة الجن، الآية: ١٤] أي الظالمون الجائرون ﴿ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ﴾ [سورة الجن، الآيتان: ١٤، ١٥].

وقال تعالى عن أولئك الجن، الذين لا يعلمون الغيب ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة الجن، الآية: ١٠] فمن استغاث بهم وعاذ بهم فقد أرهق نفسه وعرضها للشر والتهلكه ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ ﴾ [سورة الجن، الآية: ٦].

فالواجب على ولاة أمور المسلمين في كل مكان، أن يقيموا شرع الله ويحاربوا كل أنواع الدجل، ويوقعوا بأصحابها العقوبة الشرعية إذ لا نجاة من السحرة والأشرار، إلا بسيفٍ شهيرٍ صارمٍ بتار، بحد مرهفٍ، يستأصلُ رقبة كلِ ساحر وساحرة وكاهنٍ وكاهنة.

هذا وصلوا رحمكم الله على خير البرية، وأفضل البشرية، محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب صاحب الحوض والشفاعة.

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وعن الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر

أعداء الدين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين، اللهم من أرادنا وأراد الإسلام والمسلمين بسوء فأشغله بنفسه، واجعل تدبيره تدميره، ياسميع الدعاء، اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك الصالحين، اللهم فرج هم المهمومين من المسلمين، وفك سحر المسحورين، واقض الدين عن المدينين واشف مرضانا ومرضى المسلمين.

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا..

اللهم وفق ولي أمرنا لما تحبه وترضاه..

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة.

عباد الله: إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون.

فاذكروا الله العظيم يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

معركة المراغمة مع الشيطان

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسولهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [سورة النساء، الآية: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فاتقوا الله أيها الناس، وراقبوه في سركم وعلنكم، واعلموا أن تقوى الله عزوجل سببُ الأمن في الدنيا، والنجاةِ في الآخرة ﴿أَلَآ

إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة يونس، الآية: ٦٢، ٦٣].

عباد الله:

إن من حكمة الله تعالى وعلمه، أن خلق هذا الكون، علويه وسفليه، وخلق الإنس والجن، فجعل منهم كافراً وجعل منهم مؤمناً ، وهو بصير بما يعملون. أنزل الأبوين آدم وحواء من الجنة، وأنزل معهما الشيطان، الذي أغواهما، فأزلهما عنها وأخرجهما مما كانا فيه من النعيم المقيم، فأنزلهم الله جميعاً إلى عرصات هذه الأرض، لتبدأ مرحلةُ المراغمة بين بني آدم، وبين الشيطان عليه لعائنُ الله، أنزلهم جميعاً إلى الأرض بعد أن بث العداوة والبغضاء بينهم أبداً، فإبليس عدو لآدم وذريته، حيث أخرجهم من الجنة، وآدم وذريته أعداءٌ لإبليس، لأنهم جنسٌ مفضلٌ على جنس الجن، حيث أمر الله بالسجود لآدم، وآدم خُلق من طين، والطين طبيعته الثباتُ والدَّعَه، تودِعُه النواة فتخرجُ نخله، وتودعه الحبة فتخرج سنبله، وبذلك علا جنس الطين على جنس النار، التي طبيعتها الطيشُ والخفةُ والإفساد، ويبطل بذلك زعمُ إبليس في قوله ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾ [سورة ص، الآية: ٧٦] وكتبت عليه اللعنةُ إلى يوم الدين.

أيها المسلمون: لقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [سورة فاطر، الآية: ٦]. بذلك، يبين اللهُ جانبين هامين في هذه الآية، الجانب الأول: عداوة الشيطان، وأنها عداوة حقيقية لا يخالجها شكٌ أو ريبة. كتب الله لها الدوام إلى قيام الساعة، لكنها لا تعدو كونها حقيقةً نظريةً مجردة، إن لم نحن نلتفت إلى الجانب الآخر

المهم، وهو الجانب العمليّ التطبيقي، ألا وهو قول الله ﴿**فاتخذوه عدوّاً**﴾ إننا أيها المسلمون لا نخشى على النفوس الكافرة من الشيطان فتلكم نفوسٌ مظلمة، قد ضرب الشيطانُ أطنابه فيها ورتع، فزين لها سوءَ أعمالها، حتى تولته وألفته، ولكن الخوف كل الخوف، والخشية كل الخشية، على أنفس مسلمة، لم تحسِب للشيطان حساباً في واقعها، وباتت غافلةً عنه، غير آبهةٍ بمكره وألاعيبه، وإن كانت معترفةً بقابليتها لألاعيبه وإغوائه لكونها غير معصومة، إلا أنها نفوسٌ اعتقد أهلها أنهم معقمون ضد الشيطان وخداعه، محميون من آثاره وإفساده، بعد أن كونوا حولهم هالةً مزيفةً، من الاطمئنان لأحوالهم وأوضاعهم، فلم يعرفوا بذلك معروفاً، ولم ينكروا منكراً.

قال بعض الناس: إن من أمكر حيل الشيطان أن يقنعنا بعدم وجوده، ليس عدم وجوده في علم الواقع، بل عدم وجوده داخل أنفسنا، وهذا هو الشلل الأخلاقي بعينه، المصادمُ لنصوص الكتاب والسنة، في مثل قول الله عن إبليس ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٧]. وفي مثل قوله ﷺ: «**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**» [رواه البخاري ومسلم].

أيها الناس: لما علم عدو الله إبليس، أن المدار على القلب، والاعتماد عليه، أجلب عليه بالوساوس، وأقبل بوجوه الشهوات إليه، وأمده من أسباب الغي، بما يقطعه عن أسباب التوفيق، ونصب له من المصائد والحبائل، ما لو سلم من الوقوع فيها، لم يسلم من أن يحصل له بها التعويق. فمنذ يبدأ العبد المسلم مرحلة التكليف الشرعي تبدأُ معه مسيرةُ الصراع المتواصل مع

الشيطان؛ معاندةً له، وعصياناً لتزيينه، وإزاحةً لتسلطه وجبروته، حتى يُجليه عن تسعةِ مواضع يحاول الشيطان احتلالها، وتسمى هذه المعركة معركة المراغمة، قد كشف أهل العلم طبيعتها، وبينوا المدارج التي يسلكها المسلم، لنيل النصر فيها على هذا العدو اللدود، الذي يجري منه مجرى الدم، وفي أول مصادمة في هذه المعركة الطويلة الأمد، يحاول الشيطان أن يستغل حداثة الحرب، فيوقعُ في القلب الشبهات الكفرية، فيصرع بذلك أكثر البشر في كل جيل إلا أن صرعاه قلائلُ في اتباع محمد ﷺ، فإذا ظفر بذلك من ابن آدم برد أنينُه، واستراح من تعبه معه، ثم بعد ذلك يصيره من جنده وعسكره، ويستنيبه على أمثاله وأشكاله، فيكون من دعاة إبليس ونوابه ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٢١].

فإن لم يظفر الشيطان بالمسلم هنالك، دعاه إلى شبهاتٍ من الابتداع، التي هي أحبُ إليه من الفسوق، بل هي رقيةُ الكفر والشرك، حيث إن ضررها متعدٍ، ينخر في جسد الأمة، والمتورطون في ذلك من الأمة كثير.

فإذا أعجز الشيطان من ذلك، وكان العبدُ ممن وهبه الله حب السنة، ومعاداة أهل البدع والضلال، نقله إلى مرحلة طول النفس، ليهجم على المسلم مزيناً له الكبائر من الشهوات، وله في ذلك انتصارات ونشوات، إلا أن هناك سياجاً منيعاً، لم يغفل عنه البعضُ من أمة محمد ﷺ جعلهم في معزل عن كيده وألاعيبه، فلم يطرقوا للكبائر باباً، ولم يقشعوا عنها حجاباً.

ولكن قد تعتريهم صغائرُ الشهوات، التي إذا اجتمعت لربما

أهلكت صاحبها. كيف لا؟ وهي ساحةُ الشيطان الرحبة، التي تتسع صولاته وجولاته فيها، ولا ينجو مسلمٌ منها ولا يكاد، إلا بعون من الله، ومددٍ متواصلٍ يمنعه من الهجومِ الغاشم، فأما الغافل، فيخرج طريحاً، مثخناً بالجراح، مضرجاً بلوثة الذنوب، والآثام، وأما المؤمن الموفق، فهو قائم منافح، غير أنها الخدوش والوكزات، التي لا يسلم منها مصارع، قال رسول الله ﷺ: «**إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب، كمثل قومٍ نزلوا ببطن وادٍ، فجاء ذا بعودٍ، وذا بعودٍ حتى حملوا ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقراتِ الذنوب متى يُؤخذُ بها صاحبها تُهلكْه**» [رواه أحمد].

فإذا خسر الشيطان هذه الجولة، علم أن عليه ألا يصادم المؤمن مجابهةً، بل لابد من تجديد أسلوب المواجهة، إذ يأخذ الشيطان طريقاً قلَّما ينتبه له كثير من الناس، ألا وهو طريق التسويف والتأجيل، الذي يكون نتيجةً للغفلة وطول الأمل، فيالمكر الشيطان، إذ يبدي للإنسان عوائق وموانع، تمنعه من فعل طاعة من الطاعات، ويتمثل ذلك في صورٍ عديدةٍ من العوائق حسب عمل الإنسان، ويبقى جوهرها واحداً، فهو يمثل للتاجر أن استقامته وتوبته ستبرز جليةً في واقع حياته، فور ما ينتهي من هذه الصفقة أو تلك، وأما الأب فيظنها تتحقق بزواج ولده وإطاحة همه، وأما الإبن فهو يعتقدها باجتيازه لدراسته وفراغه منها.

وهكذا تشترك هذه الأمثلة في اتحاد جوهر الحيلة، مع اختلاف مظاهرها وأشكالها، إذ يدل واقعُ الناس على معتقدهم، بأن إنهاء أمر هام من أمور الحياة سيمكنهم من التوجه إلى الإسلام، أو العودة إلى ميدانه والدعوة إليه، والأغربُ من ذلك، أنه بعد أن

يزول هذا المانع أو ذاك، فإننا لا نرى صاحبه قد وصل إلى ما كان يمني به نفسه من وضع جيد، وإنما قد أوهمه الشيطان، وخدره بالأماني المعسولة، ولا أبعد النجعة، إن قلت إن المسلمين اليوم، لم يسلموا من هذه الأحبولة الشيطانية، وصدق الله ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [سورة النساء، الآية: ١٢٠] فكم من رجل، انتهت حياته وهو لم يبدأ حياته بعد، وانقضى عمره، وهو لم يُنِبْ إلى الله ولم يتُب.

فإذا نجا العبد المسلم من هذه المرحلة، فسيعلم الشيطان، أن هذا العبد، فيه من صفات الإيمان والفطنة ما يتاح له بها التخلص من مكره، إن لم يتقن الشيطان الطعان فيها فيندس له بأسلوب الناصح؛ يحثه على أن يستكثر من عمل المباحات التي لم يختلف أهل العلم في حلها، لينغمس فيها فيثقل، ويركن إليها فيبرُد، ولذلك كان أسلوب العلماء رحمهم الله في القديم والحديث واضحاً، في التقليل من المباحات الملهية، التي يأنس لها القلب فتُقعِدُهُ عن قربةٍ مستحبة، أو فرصةٍ سانحة، ولذلك قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: إني ادعُ ما لا بأس فيه خشية الوقوع فيما فيه بأس. وقال القاضي الجرجاني رحمه الله مخاطباً نفسه، أنَهْنِهُها عن بعض ما يشينها مخافة أقوال العدا: فيم أولم؟

فإن أعجزه العبد من هذه المرحلة، وكان حافظاً لوقته، شحيحاً به، مدركاً لقيمة أنفاسه وزفراته، نقله إلى مرحلة الإشتغال بالعمل المفضول عن العمل الفاضل، فيبعثرُ عليه ترتيب قائمة الأولويات، ويعكس له القواعد الشرعية، في تفاضل الأعمال الإيمانية. فيأمُرُه الشيطان بفعل الخير المفضول، ويحضّه عليه، ويُحسِّنه له إذا تضمن ترك ما هو أفضل وأعلى منه، وقل

من الناس من ينتبه لهذا، لأنه لم يصل إلى علمهم أن الشيطان قد يأمر بمائة باب من أبواب الخير؛ إما ليتوصل بها إلى باب أو أبواب من الشر، وإما ليفوت بها خيراً هو أعظم من تلك المائة وأفضل، فيقصي من له علم نافع وفهمٌ ثاقب عن جمهور المنتفعين به من المسلمين، ويُشغله بزيادة ركوع وسجودٍ هما جليلان عظيمان، لكن التعليم والدعوة أوجب عليه ـ بعد أداء الفرض ـ من زيادة ركوع أو سجودٍ نفلاً، لكنه متى استمسك بالفاضل الراجح، وأبى تلّبية نداء الشيطان فقد راغم الشيطان أبلغ المراغمة.

إلا أن ذلك، لم يك كافياً لحصار الشيطان في زاوية اليأس والقنوط، بل للشيطان محاولاتٌ ومناورات، واقتحامات من ثغرات أخرى، إذ يبدي للعبد طيف خيال، يملي عليه شعوراً وهمياً بكمالٍ زائف، يحس الفرد والمجتمع من خلاله أنه ليس هناك دواع معقولة تقتضي التصحيح، أو تستوجب التحسين. فإذا ما أدى المسلم الفرائض، واكتفى المجتمع بظواهر طفيفة من الإسلام، اطمأن واكتفى، ووصل إلى درجة الشعور بالكمال، ولو لم يقرّ بذلك صراحة إنه الكمال، ولكنه الكمال العقيم، الذي لا نتيجة إيجابية بعده، والذي يبقى في حالة من الركون والأمن المفرط، والغرور بالوضع والحال ليصبح بذلك، ممن يأمن مكر الله ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٩٩].

إن هذه الألعوبة الشيطانية كفيلةٌ بأن تحجر الفرد والمجتمع، وتُجمدهم حول قناعاتٍ خاصة كونوها لأنفسهم، وأمسوا وكأن ما يحملونه فقط هو الصواب، مما يحرمهم من إصلاح أخطائهم من

جهة، ومن الاستفادة من الصواب الذي يأتي به الغير من جهة أخرى. إن الشعور الدائم بالتقصير. هو الشعور الإيجابي المثمر، الذي يدفع للعمل الآنيِّ واليومي، ويمنح القدرة على العمل والاجتهاد والانتاج، وإنَّ تغيُر ما بالنفس من تلك المفاهيم الزائفة من شأنه أن يغير ما بالناس من واقع ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [سورة الرعد، الآية: ١١].

كما أن الشعور بالكمال العقيم شعورٌ عاطفي لن ينفي عن كل مسلم مسئوليته عن أي سوء في حاله وسلوكه وحياته؛ دينية كانت أو دنيوية ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [سورة النساء، الآية: ١٢٣] فالأمر إذاً ليس بالأماني ولا بالعواطف، إنما هو خاضعٌ لسنة العمل والاجتهاد المنتج.

فإن سلم العبدُ في هذه المرحلة من مراغمة الشيطان، فقد تحقق نصره على الشيطان أو أوشك، وأسره للشيطان قاب قوسين أو أدنى، لولا تلكم الكرةُ الأخيرة، التي لا يمكن للمسلم أن ينفك منها إلا برحمة من الله ورضوان، حيثُ يُسلِّطُ عليه الشيطان حزبه من الجن والإنس، فيرمونه بألوانٍ مُقذعة من الأذى، ويصفونه بأحد ما وضع من ألفاظ مسفَّه، يقصدُ الشيطانُ من ورائها إخماد العبد المسلم وإطفاءه ليشوش عليه قلبه، ويمنع الناس من الانتفاع به، ولكن مما يسلي النفس، ويبعث الهمة، أن هذه المرحلة لا يمكن أن يسلم منها بشرٌ حتى رسول الله ﷺ. فكم رُمي وشُتم، وكم قوتل وحورب بأبى هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه، ولذا فإن من نجا من الشيطان فيما مضى من المراحل والمزالق، فهو في هذه أحرى وأولى بإذنٍ من الله، أعاذانا الله وإياكم من نزغات الشيطان ومكره، أعوذ بالله من

الشيطان الرجيم ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ (٩٨)﴾ [سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٧، ٩٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون واستغفر الله لي ولكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبـة الثانيـة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضاه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى أصحابه أجمعين والتابعين لهم بإحسان.

أما بعد:

فيا أيها الناس، لما اطمأن الشيطانُ لبقائه إلى يوم البعث، أخذ يسردُ خُطّتَه ويُفصحُ عن أهدافه، ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة الحجر، الآيتان: ٣٩، ٤٠].. فعُدتُه هي تزيين القبيح وتجميله، ومن ثم الإغراءُ على ارتكابه، ومن هنا.. يقوم بالهجمة الأولى على بني آدم، لحظة ولادتهم لينذرهم بالحرب، فلا صلح ولا هواده، إنما هي حربٌ ضروس.

ولذا فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان، فيستهل صارخاً من نخسةِ الشيطان، إلا ابن مريم وأمه. ثم قال الراوي: اقرأوا إن شئتم ﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٣٦]» [متفق عليه]**.

أيها المسلمون: إن الشيطان الذي يُضل كثيراً من الناس، إنه هو يبريءُ نفسه ممن أضلهم، حينما ينتهي الأمر بيوم الحساب ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾

[سورة إبراهيم، الآية: ٢٢].

إن البقاء المستمر في طاعة الله وذكره الدائم على كل حال، كفيلٌ بالتخفيف من آثار الشيطان أو القضاء عليها، وإن شئتم فاسمعوا قول الرسول ﷺ لعمر بن الخطاب «**والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطانُ سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك**» [متفق عليه].

فانظروا أيها المسلمون إلى قوة الإيمان؛ كيف تؤَثِّر في الشيطان حتى تصل إلى درجة الخوف والهروب.

سُئل أحد الحكماء عن قول الله عن إبليس ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٧] فقيل له: ما الحكمة في أن لم يُعطَ إبليسُ اثنان من ابن آدم وأعطي أربعة؟ أعطي من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله من الجهات الأربع، ولم يُعط إبليس، أن يأتيه من فوق ولا من تحت؟ فقال: لأن الأربع جهات تدخلها المشاركة في الأعمال، وفوق هو موضعُ نظر الرب جل جلاله إلى قلوب عباده المؤمنين، وتحت هو موضع سجود الساجدين بين يدي رب العالمين.

فاتقوا الله أيها المسلمون، واخلصوا العبادة لربكم، والزموا الجماعة، والتزموا بالكتاب والسنة، واستعينوا بالله على الشيطان، وأكثروا من الطاعات، ومن الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، في مواضعها، التي أرشد إليها النبي ﷺ تفلحوا، ويتحقق لكم ما ذكره الله في قوله ﴿إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦﴾ [سورة النساء، الآية: ٧٦].

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على

إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين، اللهم تب على التائبين، واغفر ذنوب المذنبين، اللهم إننا نعوذ بك من همزات الشياطين ومكرهم، اللهم إن إبليس عبد من عبيدك ناصيته بيدك يرانا من حيث لا نراه، وأنت تراه من حيث لا يراك، اللهم إن أرادنا بكيد فاردده، وإن أرادنا بسوء فاصرفه، ندرأ بك اللهم في نحره، ونعوذ بك من شره، اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان، اللهم أصلح أئمتنا وولاة أمورنا واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يارب العالمين، اللهم وفق ولي أمرنا لما تحبه وترضاه؛ من الأقوال والأعمال يا حي يا قيوم، اللهم أصلح له بطانته ياذا الجلال والإكرام، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله: اذكروا الله يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.

يوم التقى الجمعان

الخطبة الأولى

الحمد لله المبديء المعيد، الفعال لما يريد، خلق الخلق بعلمه، وقدر لهم أقداراً، وضرب لهم آجالاً لا يستأخرون عنها ولا يستقدمون، قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء، علم ما كان وما سيكون ولو كان كيف يكون، وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ لا مشيئة العباد، إلا ما شاء لهم. فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون، وراقبوه في السر والعلن، واعلموا أن تقوى الله عزوجل، هي زادُ كل مسلم في هذه الحياة الدنيا، فمن لا تقوى له لا سعادة له في الدنيا، ولا نجاة له في الآخرة.

أيها الناس: إن كتاب الله عزوجل هو المنبع الثرّ للهدى والحق والخير، وسيرة رسوله صلى الله عليه وسلم، وسيرة أصحابه، هي السجل الخالد للبطولات والأمجاد فيهما يجد المسلم النور الذي يضيء له الطريق، ومنهما يفوز بالقوة التي تحفزه إلى الخير، وتُنقِذُهُ من الزلل، وتمنعُهُ من الانحراف، وتدفعُهُ للتغلب على الصعوبات، التي تقوم بينه وبين بلوغه الجنة، وما فاز من فاز إلا منهما وبهما، ولا خسر وهلك إلا من غفل عنهما وتركهما وراء ظهره.

عباد الله:

إن دنيا الذكريات دنيا سعيدة، يعيش فيها المرء المسلم يحدوه الأمل، وتعلو جبينه السعادةُ في استرجاعها، ويستحثه الشوق إلى تجديد ماضي عهدها، لاسيما في هذا العصر الذي تكتوي فيه الأمة المسلمة، بلهيب الصراعات الدموية التي أفقدتها هويتها، والتي أصيبت على إثرها بوابلٍ من الطعنات، التي ساعدت على نسيان ماضيها تراثاً وأصالةً وفكراً، يتذكر المسلم ذلك، ليذكر بحرارة وعظة، مواقف مشرفة، وأعمالاً خالدة مدى التاريخ، كانت قد سطرت بقرآن يتلى، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

ما كان حديثاً يفترى، ولا فتوناً يترد ذلكم الحديث، الذي روى به التاريخ أنباء أعظم ثلة ظهرت في دنيا الإيمان والعقيدة.

فإن من أجمل ذكريات الأمة الإسلامية، هو نصر الله لنبيها، وتأييده لدينها، فالأمة المسلمة ما برحت تشرئبُ لمثل ذلك النصر على أعدائها، وما فتئت تعيش سعيدةً، يحدوها الأملُ بعز الإسلام، وإشراق نوره في الوبر والمدر ما بلغ الأجدانِ؛ الليل

والنهار.

أيها المسلمون، في مثل هذا الشهر المبارك، وبعد منتصفه من السنة الثانية للهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، تقابل ببدرٍ صفان؛ صفُّ إسلام وصفُّ كفر، صفُّ إيمانٍ وعقيدة وصفُّ خذلانٍ وجحود، صفُّ أنصار الله ورسوله وصفٌّ أنصار العزى وهبل، في هذين الصفين يقول الله جلا وعلا: ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة الحج، الآيات: ١٩ـ٢١].

لقد خرج رسول الله ﷺ في قلةٍ من أصحابه، وضحالةٍ في عدده وعُدَّته، يقابل جموع المشركين وصناديدها، في صولتها وكثرة عددها، ووفرة عُدتها، وهو مؤمن أن الغلبة له عليها، نازلها في بدر، وكان قد شق عليه ما رأى من طغيانها وإعلانها العداء لله ورسوله، فتوجه إلى الله بدعائه «**اللهم إني أنشُدُك عهدك ووعدك، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد بعدها في الأرض**» ويرفع يديه إلى السماء، حتى سقط الرداء عن منكبيه، بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه.

فلم يرجع رسول الله ﷺ يديه، إلا والملائكة تنزل مدداً تقاتل في صفوف المسلمين ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٩].

ويمتنُّ الله على عبده وعلى المسلمين بهذا النصر ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٢٣].

فالمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، يفرحون بهذا النصر

الجميل، ويرفعون أيديهم إلى السماء كما فعل رسول الله ﷺ ضارعين إلى المولى عزوجل، أن ينصرهم على أعدائهم، قائلين في حرقةٍ وألم مما يُصيبُهُم من أعدائهم: «**اللهم إننا ننشُدُك عهدك ووعدك الذي وعدتنا**».

أيها المسلمون: إننا مهما وقفنا من وقفاتٍ صادقةٍ مع هذه المعركة الفاصلة، فإننا لن نوفيها بعض حقها، إذ هي معينٌ لا ينضب، ومعروفٌ لا ينقطع، وحسبنا في هذا المقام، أن نُشيرَ إلى بعض سماتها، والدروس المستقاةِ منها، علَّ الله أن يوفقنا لسلوك مسلك رسول الله ﷺ ومَسلكِ صحابته من بعده.

إن من أبرز سماتِ تلك المعركة، هو تلاشي الفروق العصبية، والعبِّية الجاهلية، في اللون أو الجنس، إذ أصبح الأمرُ فيه أمرَ إسلامٍ وكفر، إسلامٌ من أي لون أو جنس وجد، وكفرٌ من أي بشرةٍ أو إقليمٍ كان، حيث التقى في تلك المعركة الأخ مع أخيه، والقريب مع قريبه، أحدهما ينصر الله ودينه، والآخر ينصر قوميته وفخره.

وقد كانت تلكم الغزوة رابطةً حقةً بين المؤمنين الصادقين، وقد برزت تلكم الرابطة جليةً في تلك الغزوة، حينما قال الفاروق رضي الله عنه لرسول الله ﷺ ـ لما استشار أصحابه في أمر الأسرى ـ قال رضي الله عنه: «أرى أن تمكنني من فلانٍ قريبٍ لي وتمكن علياً وحمزة من أخويهما فنضرب أعناقهم».

وفي تلك الليلة يبيت القوم، ورسولُ الله ﷺ قائم يصلي ويلذُ بالحي القيوم، فيزيدنا هذا معرفةً بشأن الصلاة وأثرها، إذ أنها تزيدُ المؤمن نوراً وبهاءً وفهماً، قال تعالى في الحديث القدسي: «**وما تقرب إلى عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضته عليه، ولايزالُ**

عبدي يتقربُ إليَّ بالنوافل حتى أُحبَه، فإذا أحببته، كنت سمعَهُ الذي يسمعُ به، وبصرَهُ الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه».

إن الصفاء الذي تتركه الصلاةُ في النفس النبيلة، يجعلُ للحق في النفس حساً يميزه عن الباطل، وكلما ابتعد المسلمُ عن الصلاة، كلما فُتح بابُ الكدرِ في هذا الصفاء، فغام وتعكَّر.

ويعترضنا مشهد آخر من مشاهد تلك الغزوة، يتمثل في عظم التوكلِ على الله، والرضا بقضائه وقدره، إذ أراد الرسول ﷺ وأصحابه عيرَ أبي سفيان ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٧]. يريدون العير.. والله يريد القتال والجهاد، ذلك أن الإنسان محدودُ النظر، قد يرى ولكن في إطار، ويفكر ولكن لا يخرج عن نطاق، فلا يجدُ إلا التوكل على الله، إذ عسى أن يكره شيئاً وهو خيرٌ له، وعسى أن يحب شيئاً وهو شرٌ له، فرب مشتاقٍ إلى مورد ما، والموت لو يعلم في ذلك المورد. ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢١٦].

ولم يَغِبْ في تلك الغزوة موقفُ الذكاءِ والفطنة والرأي من المسلمين، مع الأدب والطاعة، حين نزل الرسولُ ﷺ أدنى ماءٍ من بدر، فقام الحبابُ بنُ المنذِر فقال يارسول الله: أرأيت هذا المنزل. أمنزلاً أنزلكه الله، ليس لنا أن نتقدمه أو نتأخر عنه؟ أم هو الحرب والرأي والمكيدة؟ قال رسول الله ﷺ بل هو الرأيُ

والحربُ والمكيدة، فقال: يارسول الله إن هذا ليس بمنزل، فانهض حتى نأتي أدنى ماءٍ من القوم، فننزله ثم نُفسِدُ ما وراءه من القُلُب؛ فنشربُ ولا يشربون، فقال رسول الله ﷺ: «لقد أشرت بالرأي» الله أكبر ما أعظم هذه الكلمات، التي تفوه بها الحبابُ رضي الله عنه «أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه».

هذا هو الأساسُ العظيم، الذي قام عليه بناءُ المسلم فيما مضى من الطاعة المطلقة، والانقيادِ لما أمر الله به، وأمرَ به رسولهُ ﷺ، لا تردد ولا تلكؤ، ولا مساومةٌ ولا تسويف، ولكن إذا أمر الله بأمر فليس لنا أن نتقدمه أو نتأخر عنه، مهما أبدى لنا هوانا البليدُ وأعاد. فلا مصلحة، ولا حكمةَ، ولا هوى، بعد أمرِ الله ورسوله، بل الطاعةُ والانقيادُ، بكل حزم وعزم، فهو الرأي والحكمةُ والمصلحةُ جميعاً، ولا يكون ذلك إلا للذين يحكمُ الشرعُ حياتهم، وهم مسلمون لله، مستسلمون لشرعه وأمره، أما الذين يتبعون شهواتهم ورغباتهم، ولا يعنيهم أيرضىٰ اللهُ شيئاً أم يسخطُ عنه، فهم بحاجة إلى تصحيح أصل الإيمان في قلوبهم. ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [سورة الأحزاب: الآية: ٣٦].

وفي تلك الغزوة أيها المسلمون، يأبى الشبابُ الطموح المتطلعُ إلى ما عند الله، يأبون إلا أن يصولوا صولتهم، ويجولوا جولتهم من بين صفوف المعركة، ليعلوا بذلك كلمة الله من بين ظلال السيوف، ورهج السنابك، يقول عبدالرحمن بن عوفٍ رضي الله عنه: «بينا أنا واقفٌ في الصف يوم بدر، نظرتُ عن يميني وشمالي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار، حديثةٌ أسنانُهما،

فغمزني أحدهُما فقال: ياعم، هل تعرفُ أباجهل؟ قال: قلت نعم، وماحاجتُك إليه ياابن أخي؟ قال: أُخبِرتُ أنه يسب رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده، لئت رأيتُه، لا يفارقُ سوادي سواده حتى يموتَ الأعجلُ منا، قال: فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر، فقال مثلها، قال فلم أنشبْ أن نظرتُ إلى أبي جهل فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألان عنه. قال: فابتدراه، فضرباه بسيفيهما حتى قتلاه [رواه البخاري]، الله أكبر، الله أكبر ما أهون الخلق على الله أيها المسلمون، صنديدٌ من صناديد قريش، وعظيمٌ من عظمائها، يأبى اللهُ إلا أن يكون حتفهُ على يد شابين يافعين. فأين أنتم ياشباب الإسلام من تلك الطموحات؟! ماذا سجلتم لأمتكم؟! وماذا عساكم أن تفعلوا بشبابكم وفراغكم وجدتكم؟! وما مدى صلتكم بتاريخ آبائكم وأجدادكم؟! الذين صنع الله على أيديهم البطولات. عودوا إلى تاريخكم فالعود أحمد، وتجنبوا مكر الشيطان ولو أرغى وأزبد.

عباد الله: إن هذه العبر والعظات قد كانت في مجموعها نتيجة للإنضواء تحت أخوةِ الإسلام الحقة، ورايةِ التوحيد المحضة، والتفاهم بإخلاص في الأمر، والاعتمادُ على الله واللجوءِ إليه، بعد بذل الأسباب المادية، ومحضِ النصح للقيادة، ابتغاء وجه الله. فاتقوا الله أيها المسلمون، وخذوا من سيرة نبيكم تفلحوا. فدينُ الله وشرعُه وإن غاب عنه شخصُ رسول الله ﷺ فهو باقٍ خالد، وُضعت فيه صفاتُ المتقين، وخُططُ المجاهدين، إلى أن يرث اللهُ الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول ما تسمعون واستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الداعي إلى رضوانه، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه.

أما بعد:

فيا أيها الناس: إن العجبَ كلَّ العجب، أن تتبدلَّ أحكام الجبلة، وتُمحىٰ آثارُ الفطرةِ إذ كيف تسفل النفس المؤمنة حتى لاتطلبَ رفعة؟ وكيف تَقْنَطَ حتى لا يكون لها أمل؟ أما لو أيقن المسلمون أن لهذا الكون مدبراً عظيمَ القدرة، تخضع كلُ قوة لعظمته، وتدينُ كلُ سطوةٍ لجبروته، وأن هذا القادر العظيم بيده مقاليدُ كلِ شيء يصرف عباده كيف يشاء، لما أمكن مع ذلك أن يتحكم فيهم اليأس، أو تغتال آمالهم غائلةُ القنوط، فماذا يكون حال القانطين المنقطعةِ آمالهم، يحكمون على أنفسهم بالحِطة، ويسجلون عليها العجز عن كل رفعة، فيأتون الدنايا، ويتعاطون الرذائل، ويوطنون أنفسهم على أن يشقوا ليسعد غيرهم، فيكونون كالنمال الحمالة، لا تستفيد مما تحمل شيئاً.

ومن هذا المنطلق نرسل هذه الكلمات التي تحمل في طياتها الحرقة والأسى، إلى المجاهدين في سبيل الله عبر الأثير، والذين تحولت قبلةُ مدافعهم من صدور أعدائهم إلى نحور إخوانهم المسلمين وذويهم، فنقول لهم: اتقوا الله في هذا الشهر المبارك، راجعوا أنفسكم، وحاسبوها، لتكن غزوةُ بدرٍ نبراساً سامياً لكم تنهلون من معينها، وتسلكون مسلك أصحابها، اتقوا الله واحقنوا

دماءكم، حذار من الجور بعد الكور، ومن الذّل بعد العز، ومن الخيانة بعد الأمانة، وحذار من حبوط العمل وخسرانه، ولو كان جهاد مئة عام.

«دخلت العالية ـ امرأة أبي إسحاق السبيعي ـ على عائشة رضي الله عنها، فدخلت معها أمُ ولدِ زيد بن أرقم، فقالت: ياأمَّ المؤمنين: إني بعت غلاماً من زيد بثمانمائة درهم نسيئة، وإني ابتعته منه بستمائةٍ نقداً، فقالت لها عائشة: بئسً ما اشتريت، وبئس ما شريت، إن جهاده مع رسول الله ﷺ قد بطل إلا أن يتوب» [رواه الدارقطني بسند جيد].

فانظروا أيها المجاهدون في سبيل الله، كيف يبطل جهادُ رجل جاهد مع رسول الله ﷺ وفي سبيل الله، بسبب ربا نسيئة في دراهم معدودة، فكيف إذن بمن يزايد بدماء إخوانه المجاهدين تفاضلاً ونسيئةً، من أجل حظ من حظوظ الدنيا، أوَّه.. عين الربا عين الربا.

فاتقوا الله أيها المجاهدون، وراقبوا ربكم، واعلموا أن المسلمين، لا يسمح لهم إيمانهم بالله وبما جاء به رسولهُ ﷺ، أن يقنطوا من رحمة ربهم في إعادة مجدهم واسترداد سؤددهم، وليس عليهم في استرجاع مكانتهم الأولى، والصعود إلى مقامهم الأول، إلا أن يجمعوا كلمتهم، بعد تمكن الجامعة الإسلامية بينهم ويجددوا سيرة سلفهم. إنهم إن فعلوا ذلك وعلم الله فيهم خيراً فسيداوي جراحهم، ويجمع شملهم، ويلمَّ شعثهم، ويؤتهم خيراً مما أُخذ منهم، ويغفر لهم.

هذا وصلوا رحمكم الله على خير البرية، وأزكى البشرية، محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب صاحب الحوض والشفاعة،

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه وسلم، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، ودمر أعداء الدين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين، اللهم انصر من نصر الدين، واخذل من خذل عبادك المؤمنين، اللهم أصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك ياحي ياقيوم، اللهم وفق ولي أمرنا لما تحب وترضى، وخذ بيده للبر والتقوى اللهم أصلح له بطانته ياذا الجلال والإكرام، اللهم أنت الله، لا إله إلا أنت أنت الغني ونحن الفقراء أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله: اذكروا الله العظيم يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً، إن الله يعلم ما تفعلون.

كفى بالموت واعظاً

الخطبة الأولى

الحمد لله، المحيي المميت، المبديء المعيد، الفعال لما يريد، القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير. وأشهد ألا إله إلا الله، سبق بالآجال علمه، ونفذت فيها إرادتُه ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ ﴾ [سورة الرعد، الآية: ٨] وأشهد أن محمداً عبدهُ ورسولهُ، الذي كانت حياتُه مثلاً عالياً في مكارم الأخلاق، وجلائل الأعمال، اللهم صل وسلم عليه، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته والتابعين لهم بإحسان.

أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى واعلموا أن أقدامكم على النار لا تقوى، وأن ملك الموت قد تخطاكم إلى غيركم، وسيتخطى غيركم إليكم، فخذوا حذركم، الكيِّسُ من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجزُ من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني.

أيها المسلمون: لقد اختلفت أراءُ الناس وتوجهاتُهم، وكَثُرَ

نِقاشُهم حول قيمة الحياة الدنيا، حتى اعتبرها كثيرٌ منهم غايةً لهم. وحكمُ الإسلام هو فصلُ الخطاب، فالحياةُ في نظر الإسلام أهمُ من أن تنسى، ولكنها في الوقت نفسه أتفهُ من أن تكون غايةَ ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ ﴾ [سورة القصص، الآية: ٧٧].

عباد الله: هنالكم خصلتان ذميمتان، خطيرتان على من لم يحذرهما، تلاحقان الإنسان ملاحقةً شديدة، حتى في الأحوال التي تشيبُ فيها اللحية، وتضعف فيها الهمة، ويدنو فيها من انتهاء العُمر، وزيارة القبر، خافهما رسول الله ﷺ على أمته، وحذرها منهما بإسلوب الإخبار المتضمن للإنذار، ألا وهما الحرصُ وطولُ الأمل؛ الحرصُ على المال، والحرصُ على العمر، والحرصُ على الشرف، الحرص، المفقرُ لأهله، مهما ملكوا من أمرٍ وجمعوا من حطام، والأمل، المتعبُ لهم، والسارحُ بهم في خيالات، يكون الأجل إليهم فيها أقربَ من تحقق الأمل، قال ﷺ: **يهْرمُ ابن آدم وتشِبُ منه اثنتان، الحرصُ على المال، والحرصُ على العمر**» [رواه مسلم والترمذي]، وقال ﷺ: **ما ذئبان جائعان أُرسلا في زريبة غنم، بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه**» [رواه أحمد والترمذي].

ومدار هذه الإخبارات مخاطبةُ ذوي القلوب الواعية، والنفوسِ المتطلعةِ إلى ما عند الله، أن يبذلوا جهدهم في تحرير عقولهمَ، وسلِّ نفوسهم من هذه الأدواء الفتاكة، داء الحرص على المال والشرف، الذي يطوق الرقابَ ويسترق الألباب، وقديماً قيل «أذل الحرص أعناق الرجال» وداءُ طولِ الأمل؛ السرابُ المبلقع، الذي طالما قطع الطريق على أهله، وحال بينهم وبين ما يشتهون.

أيها المسلمون: ليلتان اثنتان يجعلُهُما كلُ مسلم في ذاكرته، ليلةٌ في بيته، مع أهله وأطفاله، منعماً سعيداً، في عيش رغيد، وفي صحةٍ وعافية، يضاحك أولاده ويضاحكونه، يلاعبُهم ويلاعبونه والليلة التي تليها، وبينما الإنسانُ يجرُ في ثياب صحته منتفعاً بنعمة العافية، فرحاً بقوته وشبابه، لا يخطر له الضعفُ على قلب، ولا الموتُ على بال، إذ هجم عليه المرض، وجاءه الضعفُ بعد القوة، وحل الهمُ من نفسه محل الفرح، والكدرُ مكان الصفاء، ولم يَعُدْ يؤنسهُ جليس، ولا يريحه حديث، قد سئم ما كان يرغبه في أيام صحته، على بقاءٍ في لبه، وصحةٍ في عقله، يفكر في عمر أفناه، وشبابٍ أضاعه، ويتذكر أموالاً جمعها، ودوراً بناها، وقصوراً شيدها، وضياعاً جد وكد في حيازتها، ويتألمُ لدنيا يفارقها، ويترك ذريةً ضَعافاً يخشى عليهم الضياع من بعده، مع اشتغال نفسه بمرضه وآلامه، وتعلقِ قلبه بما يعجل شفاءه، ولكن ما الحيلةُ إذا استفحل الداء، ولم يجدي الدواء، وحار الطبيب، ويئس الحبيب.

﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ [سورة ق، الآية: ١٩]. عند ذلك، تغير لونه، وغارت عيناه ومال عنقُه وأنفُه، وذهب حسنُه وجمالُه، وخرس لسانُه، وصار بين أهله وأصدقائه ينظرُ ولا يفعل، ويسمع ولا ينطق، يقلب بصره فيمن حوله، من أهله وأولاده، وأحبابه وجيرانه، ينظرون ما يقاسيه من كَرْبٍ وشده، ولكنهم عن إنقاذه عاجزون، وعلى منعه لا يقدرون، ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة الواقعة، الآيات: ٨٣-٨٥].

ثم لايزال يعالج سكرات الموت، ويشتدُ به النزع، وقد تتابع

نَفَسُهُ، واختل نبضُه وتعطل سمعه وبصره، حتى إذا جاء الأجل، وفاضت روحه إلى السماء، صار جثةً هامدةٍ وجيفةً بين أهله وعشيرته، قد استوحشوا من جانبه، وتباعدوا من قربه، ومات اسمه الذي كانوا يعرفون، كما مات شخصه الذي كانوا به يأنسون، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

أيها المسلمون: إن أكبر واعظٍ هو الموت، الذي قدَّره الله على خلقه، وكتبه على عباده، وانفرد جل شأنه بالبقاءِ والدوام، فما من مخلوق ـ مهما امتد أجلهُ ـ وطال عُمْرُه، إلا وهو نازلٌ به، وخاضعٌ لسلطانه ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٥٧﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ٥٧] ولو جعل اللهُ الخلود لأحد من خلقه لكان ذلك لأنبيائه المطهرين، ورسله المقربين، وكان أولاهم بذلك صفوة أصفيائه ﷺ كيف لا، وقد نعاه إلى نفسه بقوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ [سورة الزمر، الآية: ٣٠] فالموت، حتمٌ لا محيص عنه، ولا مفرَّ منه، يصل إلينا في بطون الأودية، وعلى رؤوس الجبال، وفوق الهواء، وتحت الماء، فلا ينجو منه ملائكةُ السماء، ولا ملوكُ الأرض، ولا أحدٌ من أنسٍ أو جن أو حيوان، ولو كانوا في بطون البروج، وغياهب الحصون ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍۗ﴾ [سورة النساء، الآية: ٧٨] ولو نجا أحد من الموت لبسطةٍ في جسمه، وقوةٍ في بدنه، أو وفرةٍ في ماله، وسعةٍ في سلطانه وملكه، لنجا من الموت كثير من الناس، وإلا فأين عادٌ وثمود؟ وفرعونُ ذو الأوتاد؟ أين الأكاسرةُ؟ وأين القياصرة؟ أين الجبابرة والصناديد الأبطال؟ فالموت لا يخشى أحداً، ولا يبقي على أحد، ينتزع الطفل من حضن أمه، ويهجم على الشاب الفتي، والفارس القوي.

أيها الناس: الموت على وضوحِ شأنه، وظهور آثاره، سرٌّ من الأسرار، التي حيرت الألباب، وأذهلت العقول، وتركت الفلاسفة مبهوتين، والأطباء مدهوشين، الموت!! كلمةٌ ترتجُ لها القلوب، وتقشعرُ منها الجلود، ما ذكر في قوم إلا ملكتهم الخشية، وأخذتهم العبرة، وأحسوا بالتفريط وشعروا بالتقصير، فندموا على ما مضى، وأنابوا إلى ربهم، فنسيانُ الموت ضلالٌ مبين، وبلاءٌ عظيم، ما نسيه أحدٌ إلا طغى، وما غفل عنه امرؤٌ إلا غوى، ولا يمكن علاج ذلك ولا التخلص منه إلا أن يتذكر الإنسان قول الله ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [سورة لقمان، الآية: ٣٤] وقوله ﷺ: «**أكثروا من ذكر هادم اللذات الموت**».

أيها المسلمون: قال رسول الله ﷺ: «**إن العبدَ المؤمن، إذا كان في انقطاعٍ من الدينا وإقبالٍ من الآخرة، نزل إليه ملائكةٌ، من السماء، بيضُ الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفنٌ من أكفان الجنة، وحنوطٌ من حنوطِ الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ويجيءُ ملكُ الموتِ حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفسُ الطيبة، اخرجي إلى مغفرةٍ من الله ورضوان، فتخرج فتسيلُ، كما تسيلُ القطرة من في السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، ويخرجُ منه كأطيب نفحةِ مسكٍ وُجدت على وجهِ الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولان: فلان ابنُ فلان، بأحسن أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيُفتحُ له فيشيعه من كل**

سماء مقربوها، إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة، فيقول الله عزوجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض في جسده، فيأتيه ملكان فيُجلسانه فيقولان: من ربك؟ فيقول ربي الله، فيقولان: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان: ماهذا الرجُل الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ فيقولان: ما يدريك؟ فيقول: قرأتُ كتاب الله وآمنت به وصدقتُه، فينادي منادٍ من السماء، أن قد صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة. قال: فيأتيه من رَوْحِهَا وطيبها، ويُفْسحُ له في قبره مدَّ بصره، قال ويأتيه رجلٌ حسنُ الوجه، حسنُ الثياب، طيبُ الريح، فيقول: أبشر بالذي يسُّرك، هذا يومُك الذي كنت توعد. فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجهُ الحسنُ يجيء بالخير، فيقول أنا عملك الصالح. فيقول: رب أقم الساعة رب أقم الساعة، حتى أرجع إلى أهلي ومالي، وإن العبد الكافر، إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا وإقبالٍ من الآخرة، نزل إليه ملائكة سود الوجوه، معهم المُسوح، فيجلسون منه مدَّ البصر، ثم يجيءُ ملكُ الموت، حتى يجلس عند رأسه: فيقول: أيتها النفسُ الخبيثة، اخرجي إلى سخطٍ من الله وغضب، فتفرَّقُ في جسده، فينتزعها كما ينتزعُ السفودُ من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عينٍ، حتى يجعلوها في تلك المسوح، وتخرجُ منها، كأنتن جيفةٍ وُجِدت على الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون، فلان ابنُ فلان، بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهى بها إلى السماءَ الدنيا، فَيستَفتحُ لها فلا يُفتح له. ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ

أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٤٠] فيقول الله عزوجل اكتبوا كتابه في سجين، في الأرض السفلى، ثم تُطرح روحُه طرحاً، ثم قرأ ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [سورة الحج، الآية: ٣١] فتعادُ روحُه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك، من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ماهذا الرجلُ الذي بُعث فيكم؟ فيقول هاه هاه لا أدري فينادي منادٍ من السماء: أن كذبَ فأفرشوه من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرِّها وسمُومِها، ويُضيقُ عليه قبرهُ حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجلٌ قبيحُ الوجه، قبيحُ الثياب، منتنُ الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجهُ القبيح يجيء بالشر، فيقول: أنا عملُك الخبيث. فيقول: رب لا تقم الساعة» [رواه الإمام أحمد].

أيها المسلون: إن لنا في السلف الصالح أسوةً حسنة، وقدوةً طيبة، فقد كانوا يكثرون من ذكر الموت حتى في أوقات الصفاء، وأيام السرور، وكان ذلك يبعثهم على الجد في طاعة الله، والبعد عن مساخطه.

لما تولى عمرُ بنُ عبدالعزيز، وخطب خُطبة الخلافة، ذهب يتبوأ مقيلا، فأتاه ابنه عبدُالملك فقال: ياأمير المؤمنين، من لك أن تعيش إلى الظهر، قال: ادن مني أي بني، فدنا منه فالتزمه، وقبل بين عينيه وقال: الحمد لله الذي أخرج من صلبي من يُعينُني على ديني، فخرج ولم يقل، وأمر منادياً له أن ينادي، ألا من كانت له مظلمةٌ فليرفعها.

وقال بعض الناس: دخلنا على عطاءٍ السلمي، نعوده في مرضه الذي مات فيه، فقلنا له: كيف حالُك؟ فقال: الموتُ في عنقي، والقبرُ في يدي، والقيامةُ موقفي، وجسرُ جهنّمَ طريقي، ولا أدري ما يُفعل بي، ثم بكا بكاءً شديداً، حتى أغشى عليه، فلما أفاق قال: اللهم ارحمني وارحم وحشتي في القبر، ومصرعي عند الموت، وارحم مقامي بين يديك ياأرحم الراحمين.

ودخل المزنيُ عند الإمام الشافعي، في مرضه الذي مات فيه، فقال له: كيف أصبحت ياأباعبد الله؟ فقال: أصبحتُ عن الدنيا راحلاً، وللإخوان مفارقاً، ولسوءِ عملي ملاقياً، ولكأس المنية شارباً وعلى ربي سبحانه وتعالى وارداً، ولا أدري أروحي صائرةٌ إلى الجنةِ فأهنيها، أو إلى النار فأعزيها.

قال بعض الحكماء: مازالت المنونُ ترمى عن أقواس، حتى طاحت الجسومُ والأنفس، وتبدلت النعمُ بكثرةِ الأبؤس، واستوى في القبور الأذنابُ والأرؤس، وصار الرئيسُ كأنه قطُّ لم يرؤس، فمن عامل الدنيا خسر، ومن حمل في صف طلبها كُسر، وإنَّ خلاص مُحِبها منها عسر، وكلُ عاشقيها قد قيد وأُسر ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٢٣].

فيا تائهاً بوادي الهوى، انزل ساعةً بوادي الفكر، يُخبرك بأن اللذة قصيرة، والعقاب طويل، واعجباً لمن يشتري شهوة ساعةٍ، بالغم والنكد، كانت المعصية ساعةً لا كانت، فكم ذلت بعدها النفس، وكم تصاعد لأجلها النفس، وكم جرى لتذكارها دمع. أعاذنا الله جميعاً من الغفلة، ومن سوء المنقلب في المال والأهل والولد.

عباد الله: أقول ما تسمعون واستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعد:

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن الدنيا، دارُ بلاءٍ وابتلاءٍ، وامتحانٍ واختبار، لذلك قدر اللهُ فيها الموت والحياة، وهي مشحونةٌ بالمتاعب، مملوءةٌ بالمصائب، طافحةٌ بالأحزان والأكدار، يزول نعيمها، ويذلُ عزيزُها، ويشقى سعيدها، ويموت حيُها. مُزجت أفراحُها بأتراح، وحلاوتُها بالمرارة، وراحتُها بالتعب، فلا يدوم لها حال، ولا يطمئن لها بال.

فليت شعري، أي امريءٍ سلم فيها من الشدة والنكبة، أيُ امريءٍ لم تمسسه المصيبةُ والحسرة، من عاش لم يخل من المصيبة، وقلما ينفكُ عن عجيبة.

فكم من ملوكٍ وجبابرة فتحوا البلاد، وسادوا العباد، وأظهروا السطوة والنفوذ، حتى ذُعرت منهم النفوس، ووجلت منهم القلوب، ثم طوتهُم الأرض بعد حين، فافترشوا التراب، والتحفوا الثرى، فأصبحوا خبراً بعد عين، وأثراً بعد ذات.

وكل إنسان، سيسلكُ الطريقَ الذي سلكوه، وسيدركُ الحال الذي أدركوه، ولكنه مأخوذٌ بغمرةٍ من الدنيا عابرة، ستليها ويلات. مستغرقٌ في سبات عميق، ستكشفه سكرات ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ [سورة التكاثر، الآيات: ١ـ٤].

هذا وصلوا رحمكم الله، على خير البرية، وأفضل البشرية، محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب صاحب الحوض والشفاعة،

اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين، اللهم فرج هم المهمومين من المسلمين، ونفس كرب المكروبين، وأقض الدين عن المدينين، واشف مرضانا ومرضى المسلمين.

اللهم اجعل القبور بعد فراق الدنيا من خير منازلنا، وافسح بها ضيق ملاحدنا، وثبت على الصراط أقدامنا، وارحم يوم العرض عليك ذل مقامنا، اللهم وفقنا للصالحات قبل الممات، وأرشدنا إلى استدراك الهفوات من قبل الفوات، وألهمنا أخذ العدة للوفاة قبل الموافاة، ونجنا يوم العبور على الصراط حين تنسكب العبرات، اللهم وفق ولي أمرنا.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

أدركوا المرأة

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [سورة النساء، الآية: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، فبتقوى الله عز وجل، يصل العبد إلى منازل الأبرار، وبتقوى الله عز وجل ينجو العبد من المهالك،

ويبتعدُ عن مسالكِ الشر والأشرار.

أيها المسلمون: يحكى أن رجلاً وقف على طرف غصنٍ لشجرة، يعمل هو في قطعه من ناحية الجذع، دون أن ينتبه إلى حتمية السقوط الذي سيصيرُ إليه إذا انقطع الجذع، فإذا مر من ينبهه إلى هذا المصير، الذي انتهى إليه فيما بعد، نهض يعدو خلفه ليقول له، لقد عرفت أمر سقوطي قبل حصوله، فلن أدعك حتى تنبئني بنهايتي متى تحين.

أيها المسلون: إن هذه الصورة الغريبة، من الرجل الساذج القح، تمثل واقع المرأة المسلمة اليوم، في اندفاعها المحموم وراء المجهول، التي لم تجرب قط أن تسأل نفسها عن غايته ومحتواه، وهذا المجهول هو الذي أضاع شخصيتها، وصرفها عن حقيقتها، فجعلها كالكرة، تتخبطها مضارب اللاعبين، فتتهادى في كل اتجاه، وهذا المجهول لا يتاح التخلصُ من ضغطه، إلا للمرأةِ التي تستطيعُ أن تعزل نفسها، ضمن حصانةٍ من الشرع الحكيم.

لقد وصلت المرأة المسلمة إلى مطلع هذا العصر، مصونة الفطرةِ من الانحلال، على الرغم من كل ظروفها السيئة، ولكنها ما أن طلت على مفاسد الغرب حتى اجتالتها شياطينُه فإذا هي تتخبط في مستنقعه، لا تجدُ مستقراً، ولا تهتدي طريقاً.

لقد راعها من الغرب بريق مصانعه، وطرافةُ منتجاته، فرضيت بالسير وراء الهابطات من نسائه، تتبعُ آثارهن في كل زي ومسلك، حتى أصبحت لا ترضى عن ثوبها، إلا بمقدار انطباقه على نماذجهن الواردةِ في أزياء الهابطات وأشباههن.

فإذا رأيت ثوبها طويلاً يستر بعض العورة، فاعلم أنه صورةٌ من

ذلك النموذج الجديد.

أيها المسلمون: إننا لنحس بالأرض تميدُ تحت بيوتنا وأسرنا، ونرى إلى بناتنا وهن يتخبطن في شَرَكِ الفتنة، فنهلع ونعظُ ونذكر، ولكن تذهب تلك المواعظ، وكأنها خرِفٌ يكلم الأشباح، أو يطعن في الرياح!!! أجل، لقد بات وضعُ المرأةِ المسلمة في مهب الأعاصير، فليس من الحكمة أن يُترك زمامه للدعوات الساقطة، تقذف به حيث يشاء أولوا الأهواء.

ففي المجتمع الحديث يحتل حديثُ المرأة حيزاً كبيراً من تفكير الباحثين، ولذلك كان لزاماً على من يتكلمُ في هذا الإطار ألا يصرف النظر عن وضع المرأة في القديم، ليتاح له الإلمامُ بمنزلتها لدى الأمم، ولا جرم!! فإن الناظر في واقع المرأة قبل الإسلام لن يجد ما يسره، إذ يرى نفسه أما تخبطٍ عالمي تجاه المرأة، ويعجبُ كل العجب، من اختلاف البيئات والقبائل في نظرتها للمرأة، حيث تتراوح صعوداً فتتولى زمام الملك، وهبوطاً فيكون الوأدُ مصيرها خشية الفاقة والعار.

قال تعالى عن ملكة سبأ ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة النمل، الآية: ٢٣] وقال تعالى عن الوجه المضاد لما ذكر ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ [سورة التكوير، الآيتان: ٨، ٩] لقد كانت المرأة في الجاهلية، زريةً مُهانة في الأسرةِ والمجتمع، طفلةً وشابة، استعبدها الرجال في ذلةٍ وامتهان، إن سَألت لا تُجاب، وإن احتيج إليها فللسقي والاحتطاب، فإن تسامت، فلإبراز غَلةِ الشهوة، في إزورارٍ ونظرات شزراء، ويوم خروجها للدنيا يومٌ تسود فيه الوجوه، وبشرى البشير بها سخطٌ وإغضاب، وبشراها

هي الدفنُ حيةً في التراب، عقولٌ فارقها رُشدها لطول عهدها بنور السماء، وهُدى الأنبياء، رجالٌ صنعتهم الوثنية، وربتهم الكهانة، فأصبحت فصاحةُ ألسنتهم، وكرمُ أيديهم، وشجاعةُ أبدانهم، بروقاً تومض ولا تضيء، وتُرعدُ ولا تُمطر. ولعل الطابع البارز في حكم العالم القديم على المرأة، هو أنها موضع اللذة، لا وزن لها إلا بمقدار ما تطلبه نزوة الرجل ورغبته، فهذه معركة ذي قار، وهي من أضخم أحداث الجاهلية، نشبت بسبب امرأةٍ أرادها كسرى، وأباها النعمانُ عليه، وقد نالت الجاهليةُ من المرأة أقسى مَنَال، فحرمتها حق الحياة، فسُبيت وبيعت ووئدت.

قال ابن عباس رضي الله عنه: إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ قول الله تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهَۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٤٠] فمن خلال هذه الملامح، ندرك كيف جمحت الجاهلية بالمجتمع العربي، فشذ عن سواء السبيل، وانطلق يَخْبِطُ في مهامِه الحياة ودروبها خبط عشواء. وفي طوايا هذا الظلام ينبعث فجرُ الإسلام، فتسمعُ في الدنيا لأول مرة ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ ﴾ [سورة التوبة، الآية: ٧١] ويسمع قولُه: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٢٨] ويسمع قولهُ ﷺ «**استوصوا بالنساء خيراً**».

وبذلك، يضعُ الإسلام الأسس الكبرى لكيان المرأة الجديد، الذي ما لبث أن آتى ثماره في ظل المدرسة النبوية، فإذا المرأةُ إمام تستفتى في أعظم المسائل، وإذ هي مصلحة تقف في وجه الفاروق رضي الله عنه، لترده إلى الحق فيقول، أصابت امرأةٌ وأخطأ عمر، ولم يكتف الإسلام بكل هذه النعم، التي يُفيضها على المرأة، بل جعل الأم أحق بالإكرام من الأب، قال رجل:

يارسول الله من أبر؟ قال: أمك قال: ثم من؟ قال أمك قال ثم من؟ قال أمك قال ثم من؟ قال أباك [رواه البخاري ومسلم].

وكمااعتنى الإسلام بالمرأة أمًّا، فقد عُني بها كذلك زوجة وابنة وأختاً.

أيها المسلمون: لقد وضع الإسلام للمرأة سياجاً قوياً مانعاً من الضياع، إذا هي أخذت به نجت، وإن هي أضاعته ضلت وهلكت، ذلك هو سياج الحشمة والعفاف، الذي يكون من مقتضاه الحجابُ الشرعي، والقرارُ في البيوت، والبعدُ عن مزاحمة الرجال، فتصبحُ بذلك جوهرةً في صدفة، لا يعرفها إلا الخواص.

فالإسلام يرى في الاختلاط بين الرجل والمرأة خطراً محققاً، فهو يباعد بينهما إلا بالزواج. وأعداء الإسلام يدركون قيمة الحجاب، وأثر قرارِ المرأة في بيتها، في حمايةِ المرأة المسلمة، وصيانة عفتها وطهارتها، لذلك، تراهم يشنون على الحجاب حرباً شعواء، لا هوادة فيها، فيصفونه بالظلم والجور تارة، وبأنه دخيلٌ على حياة المسلمين أخرى، وبأنه يحولُ دون تقدم المجتمع ثالثة، وهم بذلك يزينون للمرأةِ الخروج من بيتها، بسبب وبدون سبب، وما بأعداء الإسلام عطفٌ على المرأة المسلمة، ولا رحمةٌ بها، ما بهم غيرةٌ على الإسلام، ولا حبٌ بالمسلمين، إنما هو لا غير الحقد الدفين، والكيدُ المضمر، والكراهيةُ المكنونة في نفوسهم ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١١٩] لقد ترقت المفاهيمُ السياسيةُ في هذا العالم الفسيح، حتى أصبح كلُ ذي لبٍ وبصيرة يملك من قوةِ الحدس، ما يكشف له اليد الصهيونية، والحقد الدفين، على الأمم والشعوب،

لتدميرها عقدياً واجتماعياً وأخلاقياً، تساوقاً مع مقررات حكمائهم.

أيها المسلمون: إن خلل الرماد وميضُ جمر، يستهدف المرأة المسلمة، في ظروفٍ مقصودة، تسلُبُها الثقةَ بنفسها ومقوماتها، إن اليهود قد شنوا الحرب على حجاب المرأة المسلمة من قديم، مُذْ تآمروا على نزع حجاب المرأة، وكشفِ سوءتها في سوق بني قينقاع، أيام رسول الله ﷺ، ومازالت حربهم مشبوبةً مشتعلة، لا يزيدها الزمن إلا اشتعالاً واضطراماً، لأنهم يدركون جيداً أن إفساد المرأة، إفساد للمجتمع المسلم.

ويا للأسف الشديد، فكم من المسلمين من استسلم لإغوائهم، وكم من المسلمين من رضع من أثداء حربهم لحجاب المرأة. فلا ريب أن منهم من قد غُسلت أدمغتهم في دهاليز الكفر، وترعرعوا في كنف الإلحاد، فالتحف فريقٌ منهم الإسلام وتبطن الكفر حمل بين كفيه لساناً مسلماً، وبين جنبيه قلباً كافراً مظلماً، حِرص كل الحرص، على أن ينزع حجاب المرأة المسلمة، ويخدش كرامتها، فلم يجدْ أولئك أعونَ لهم من أن يقدموا لنا تحرير المرأة على طبق إسلامي، ويتولىٰ تزيين هذا الطبق سَدَنَتُه من أرباب الشهوة، وعباد المرأة، ومن الذين كرهوا ما نزل الله.

أيها المسلمون: إن بناتنا من أفضل ثمارنا، وخير زروعنا، إنهن الرحاحينُ الناضرةُ في حياتنا. إنهن فلذاتُ أكبادنا، وإن هذه الزروع يُوشكُ أن نُحرمَ منها، ويُوشكُ أن تعصِفَ بها الريح، بعد أن طابت ورجونا خيرها وبرهَا، أتدرون أيُ ريح هذه؟ إنها ريحُ الإثم والجريمة المنتة، ريحُ التبرج والسفور، تنقلها إليهن بعضُ الصحف والمجلات، والروايات الرخيصة، التي تنشرُ الإثم

عارياً، وتتحدثُ عن تحرير المرأة بإسلوبٍ قذرٍ مكشوف.

إنهم ينشدون المرأة أن تئد نفسها وهي حية؛ ينشدون المرأة، أن تئد نفسها ولكن من دون تراب، ينشدون المرأة أن تئد نفسها في عفتها!! أن تئد نفسها في كرامتها!! أن تئد نفسها في طهارتها وبرائتها، فما قيمةُ حياتها إذن؟ ماذا تجني من بقائها حية، إلا العارَ والشنار!!!

أيها المسلون: لو قلت لكم من على هذا المنبر، إن وأدَ هذا العصر أشدُ خطراً من وأد الجاهلية الأولى، أوَكنتم مصدقي؟ إن قلتم نعم، فستسألون لماذا؟ فأقول لكم: إنه قد جاء في مسند الإمام أحمد عن النبي ﷺ أنه قال: «**والموءودة في الجنة**» وأما الموءودة في هذا العصر فكيف تكون كذلك وهي التي وأدت نفسها، فأذهبت عفتها، وباعت حياءها، كيف لا؟! وقد قال ﷺ عن أمثالها: «**بأنهن كاسياتٌ عارياتٌ مائلاتٌ مميلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها**».

أيتها المرأة المسلمة، يافتاة الإسلام، اسمعي وعي، كي لا تخدعي.

إن باب الإصلاح أمامك أنت أيتها المرأة، ومفتاحُه بيدك، فإذا آمنت بوجوده وعملت على دخوله صلحُت الحال، صحيح أن الرجل هو الذي يخطو الخطوة الأولى أحياناً في طريق الإثم، لا تخطوها المرأةُ قبله، ولكن لولا رضاك ما أقدم، ولولا لينُك ما اشتد، أنت فتحت له الباب، وهو الذين دخل. قلتِ للص: تفضل، فلما سرقك اللصُ صرخت أغيثوني أغيثوني، ولو عرفت أن ذلك الرجل ذئبٌ وأنت النعجة، لفررت منه فرار النعجة من الذئب، وإذا كان الذئبُ لا يريد من النعجة إلا لحمها، فالذي

يريده منك الرجل أعزُ عليك من اللحم على النعجة، يريد منك أعز شيء عليك!!! يريد عفافك الذي به تشرفين، وبه تعيشين، تشتركان في لذة ساعة، ثم ينسى هو، وتظلين أنت أبداً تتجرعين غصصها، يمضي خفيفاً يفتش عن مغفلةٍ أخرى يسرقُ منها عرضها، وينوءُ بك أنت ثقلُ الحمل في بطنك، والهم في نفسك والوصمة على جبينك، يغفر له المجتمع كله، ويقول: شابُ ضل ثم تاب، وتبقين أنتِ في حمأة الخزي والعار طوال الحياة، لا يغفر لك المجتمع الظالم أبداً.

ولو أنك إذا لقيت الرجل زويت عنه بصرك، وأريته الحزم والإعراض، لو أنك فعلت هذا لرأيت الجميع عوناً لك عليه، ولما جرؤ بعدها فاجرٌ على ذاتِ سوار، ولجاءك إن كان تائباً مستغفراً يسألُ الصلةَ بالحلال!! جاءك يطلب الزواج.

والفتاةُ مهما بلغت من المنزلة والغنى والشهرة والجاه، لا تجدُ أملها الأكبر إلا في الزواج. فالزواج أقصى أماني المرأة في الدنيا، ولو صارت عضوة البرلمان، وصاحبة السلطان. والفاسقة المستهترة لا يتزوجها أحد، حتى الذي أغواها وأراق عفتها بين قدميه. والرجلُ ـ وإن كان فاسقاً داعراً ـ إذا لم يجد في سوق اللذات نبتاً، ترضى أن تريق كرامتها على قدميه، وأن تكون لعبةً بين يديه، إذا لم يجد المرأة التي تشاركه في الزواج على دين إبليس، وشريعةِ القطط فوق الأسوار، طلب من تكون زوجته على سنة الإسلام.

فيا فتاة الإسلام لا تسمعي كلام أولئك الذين يزينون لك حياة الاختلاط، باسم الحرية والمدنية والتقدمية، فإن عدداً من هؤلاء، لا يَهمُهُ منكِ إلا اللذةُ العارضة والشهوةُ المسعورة.

فهذه نصيحتي إليك، وهذا هو الحقُ فلا تسمعي غيره، واعلمي أن بيدك أنت مفتاح باب الإصلاح، فإذا شئت أصلحت نفسك، وأصلحت بصلاحك الأمة كلها.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٣٣].

أقول ماتسمعون واستغقر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضاه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فيا أيها الناس: إن الحديث عن المرأة لا ينتهي، لأنها نصفُ البشرية، والذي يهمنا أن نؤكده هو أن كل ما نقولُ في حق المرأة، إنما هو من منطلق غيرتنا كمسلمين، على أخواتنا في الإسلام، وحِرصاً على صيانتهن وحمايتهن، ولا ريب أن الواجب يضعُ على كل عاتق نصيبه من المسئولية، فلا يُستثنى من ذلك صغيرٌ ولا كبير، ولا حاكمٌ ولا محكوم.

غير أن الخطر قد بات من الإحكام، بحيثُ لا يصلحُ لدرئه عملياً سوى الكبار، من آباءٍ ومسئولين، فرب حكمة من مسؤول تكون كالسد المنيع في طريق السيول.

وإن واجب الديانة ثم مصلحة الأمة يهيبان بكل مسؤول من أبٍ أو غيره، أن يضغطوا على كابح القاطرة، قبل أن تصير إلى حافة الهاوية، وأين موضعُ هذا الكابح إن لم يكن في التشريع، الذي يفرضُ على المرأة أن تكفَ عن السباق المحموم الذي تمارسه في حلبة التقليد الأعمى؟!

التشريع!!! الذي يقول للمرأةِ: رويدك مهلاً!!! لقد ملأت بتبرُجك دروب الناس ألغاماً، فاحفظي حياءك، والزمي حدود الحشمة.

ثم اعلمي أيتها المرأة المسلمة: أن الله تعالى قد أمر بالحجاب

في قوله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٥٩].

قال ابن كثير: والجلباب: هو الرداء فوق الخمار، وقال ابن عباس رضي الله عنه: أمر الله نساءَ المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن فوق رؤوسهن بالجلابيب، ويبدين عيناً واحدة.

وبذلك تعلمين أيتها المرأة، أن ما يفعله كثير من النساء اليوم؛ من تغطية الوجه، مع إخراج العينين وما جاورهما من طرفِ الأنف، والحواجب وشيءٍ من الخدين، أن هذا كله خطأٌ واضح، ومسلكٌ مشين، فبالله عليك، ماذا أبقت المرأة من زينة الوجه حينئذٍ؟ بل ربما بفعلهن هذا سترن القبيحَ وأبرزن الحسن، والشارعُ الحكيم أذن في إبراز إحدى العينين، لترى المرأةُ بها الطريق، لا أن يراها أهلُ الطريق.

إن النساء إذا خرجن بلباس يكشف أكثر مما يستر، وقد زججن الحواجب، وكحلن العيون، ووضعن عطوراً تشدُ حاسةَ الشم من بعيد، وكشفن عن أعينهن كشفاً يشدُ حاسة البصرِ لدى الرجال، فتكادُ العيونُ تخرج من محاجرها مشرئبةً، إنهن بذلك يحركن جانب الفجور في النفس، ويُشعلن كوامن الشهوة لدى الرجال، فتتقدُ كالنار المتأججة في الصدر، وتمتدُ بالتالي سرياناً كاللهيب، إلى كل جارحةٍ من جوارح الرجل. أعاذنا الله وإياكم من الفتن، ما ظهر منها وما بطن.

هذا وصلوا رحمكم الله على خير البرية، وأفضل البشرية، محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب، صاحب الحوض والشفاعة، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وارض اللهم عن

أهل بيته الطيبين الطاهرين، وعن صحابته والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، ودمر أعداء الدين، اللهم من أرادنا وأراد المسلمين بسوء فاشغله في نفسه واجعل كيده في نحره ياسميع الدعاء، اللهم احفظنا في أنفسنا، واحفظنا في أزواجنا واحفظنا في بناتنا وأبنائنا، اللهم أصلح نساء المسلمين وجنبهن التبرج والسفور، ياعزيز ياغفور، اللهم جنبهن منكرات الأخلاق والأسواق والأفراح والأتراح.

اللهم وفق ولي أمرنا لما تحب وترضى، وخذ بناصيته للبر والتقوى، اللهم أصلح له بطانته ياذا الجلال والإكرام.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله: اذكروا الله العظيم يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.

السفر إلى بلاد الكفر

الخطبة الأولى

الحمد لله الدائم الذي لا يتبدل، والباقي الذي لا يزول ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [سورة الحديد، الآية: ٣] وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٢٧].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، عَبَدهُ في ليله، وجاهدَ له في نهاره، فكان عبداً شكوراً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى أصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها المسلمون: في هذه الآونة الحاضرة، من تاريخ الدنيا ومرِّ الزمن، يقف المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها وقفة الاعتبار والتفكر، لأنهم يودعون من حياتهم عاماً مضى بما لهم وما عليهم، ولا يدرون ما الله قاضٍ فيه، وهم يستقبلون ببزوغ هلالِ هذه السنةِ الهجرية عاماً جديداً، لا يدرون ما الله فاعل فيه

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة لقمان، الآية: ٣٤].

إن المسلمين وهم بين العام الراحل والعام الحاضر، لابد لهم من نظرة يلقونها على سجلاتهم وصفحات حياتهم، لينظروا ماذا كَسَبُوا وماذا خَسِروا، فيحمدوا الله جل جلاله على ما ربحوه، ويستغفروه مما اقترفوه أو صنعوه، فلنقف بين العامين وقفة المهاجر بقلبه، وإن لم يهاجر بحسه، ولنهاجر إلى الله بقلوبنا، وعقولنا وأعمالنا، ولنلجأ إليه حتى يكون معنا يسمعنا ويرانا.

أيها المسلمون: إذا وجد الحياء في نفس المرء منعه من الكثير، وحال بينه وبين الحقير من الأمور، وأما إذا خلع المرء برقع الحياء، ولم يبق في وجهه للمروءة ماء، أتى السيئات وهو يظن نفسه محسناً، وتجرأ على المنكر الشنيع، وهو يحسبه هيناً.

عباد الله: إن من المعاول الهدامة للحياء وأهله، ومن الأسباب الخطيرة على حياة الأمة المسلمة، هي تلك المشكلة الخطرة، التي يتأهب لها بعض من المسلمين في هذه الأيام.

فقد اعتاد كثير من الناس ـ في حر الصيف اللافح ـ أن يقضوا إجازاتهم في رحلات إلى شواطيء الأنهار، وإلى شواطيء البحار، في بلاد الكفار، أو في بلاد تشبهها، وقد يصطحب أولئك الناس عوائلهم، من نساءٍ ومراهقين ومراهقات، أو يذهبون وحدهم، وبعضهم يصل به الأمر إلى إرسال أولاده أو بناته، إما بدعوى السياحة والنزهة، أو بدعوى أخرى مماثلة، وينفقون في سبيل ذلك كله أموالاً طائلة، من نعم الله عليهم.

ولك أن تتعجب **أيها المسلم**: إن عدداً ضخماً من الذين فقدوا الحياء، وأسرفوا في الاستهتار من أغنياء ومترفين، يضربون أسوأ

الأمثال، فلا يعملون لأوطانهم، ولا يشتركون في النعماء والبأساء مع إخوانهم، بل يفرون من ديارهم إلى ديار الكفر، في رحلات عابثة، كُلُها إسراف وتبذير. وليت هؤلاء رحلوا حين رحلوا، وأنفقوا في سبيل الله من مجاهدين أو معوزين، ولكنهم رحلوا للهوى والشيطان، وأنفقوا ما أنفقوه على اللذة الرخيصة، والشهوةِ الوضيعة، والترف المبيد، إن السائح المسلم يساوي ضعفة من السياح من أي دين آخر، لماذا؟ لأنه ميال للبذخ، ويقيم في أرقى الفنادق، ويأكل في أرهى المطاعم، وينثر المال ذات اليمين وذات الشمال، في كل قطرٍ وفي كل مصر، وهو لذلك صيد ثمين جداً.

وهؤلاء يرون إخوانهم في الدين يحترقون عناءً وشقاءً، ثم يأبون إلا أن يبذروا أموالهم على موائد اللهو والفراغ.

أيها المسلمون: أنا لست في حاجةٍ إلى أن أفصل القول في أحوالِ تلك المصائف التي يقصدونها، ففيها من المعاصي ما الله به عليم، ولكن لك أن تعلم أيها المسلم أنه في تلك البلادِ والمصائفِ تتعرى الأجساد المحرمة، وتشربُ الخمور كالماء، وينتشرُ الزنا كانتشار النار في الهشيم، هذا كُلُه فضلاً عن الجو المادي، الذي تقسو فيه القلوب، فتصبح مشغوفةً بالشهوات والملذات، ناهيك عن الشبهاتِ العقدية والانحرافات، فيأنسُ أولئك المصطافون تلك المناظر، ويعتادونها، وربما يواقعها البعض منهم، ثم ينطلق المراهقون والمراهقات؛ من الصغار والكبار غير مصدقين ما هم فيه من فوضى وإباحية، لاسيما وقد اعتادوا في بلادهم جو المحاصرة، وقطع الشهوات إلى حد ما.

وأعود للذين يُعدون العُدة للسفر إلى تلك البلاد وشواطئها، أو

ينوون إرسال فلذات أكبادهم، ليرموهم في نار المعصية، أعود إليهم لأناديهم بنداء الإخوة والإشفاق، ولأبين لهم العواقب الوخيمة، التي تنتج من جراء تلك الأسفار، سواء كانت عواقب حسية، أو عواقب معنوية، ففي تلك البلاد تُخلعُ الكرامة، ويَنْسلخُ الحياء، فتباشر المعاصي وكأنها شيء مألوف للإنسان، ثم تستمرؤها النفوس الضعيفةُ رويداً رويداً، إلى أن تلغ في حمئها وهي لا تشعر، فإذا أُشربت النفسُ درجة تهيأت للتي تليها، ثم تَلَغ وتقعُ فيها، ثم تتهيأُ للتي بعدها حتى تقع في أكبر الفتن وهي لا تشعر.

وبذلك، يتأكد وضوحُ قوةِ سلطانِ العاداتِ والتقاليدِ على الناس، وأن النفس إذا ألفت شيئاً، لم تكَدْ تتحولُ عنه إلا في صعوبةٍ بالغة، وبطءٍ شديد، من أجل ذلك كانت تلك المخالطةُ ـ إذا تمت ـ عميقة الجذور، صعبة العلاج، بقدْرِ ما هي بطيئةُ التفاعل والتحول، لأنها لا تهجم على النفس دفعةً واحدة، ولكن النفس تتشربها آناً بعد آن، وتسري فيها بطيئةً سريان الغذاء في الأبدان، ثم تأخذ تلك النفوسُ الضعيفة، كلَ ما يساقُ إليها مما يضرُ ولا ينفع، وينتهي بها الأمرُ إلى أن تفقد خصائصها الإسلامية، التي بها قوامها، ثم تموع وتذوب، أو تضمحل وتفنى، بل الغالب على النفوس الضعيفة، أن يكون ميلها في هذا إلى جلب اسوأ ما عند غيرها ممن يخالطها، مما تدعو إليه الشهوات، وما يُغري بالراحة والاسترخاء من ألوان الترف لأنها تستحله، ومن ثم تتوهم أن كل ما عند غيرها من أهل اللهو والترف، خيرٌ مما عندها، ثم لا تسأل بعد ذلك، عن قيام تلك

النفوس الضعيفة بالدعوة إلى الإفساد، من خلال إحياء الرذيلة، والتنكر للفضيلة، وفصل النفوس عن القيم والأخلاق، لتحيى بذلك الدعاوى الوثنية، التي تهدف إلى إباحة الانحلال والفساد، وإعلاء الشهوة، وعبادة الجسد، وفتح الطريق للإنسان ليكشف عن كل نزواته وأهوائه، وليتحرر تحرراً كاملاً من كل ما يتصلُ بالمباديء والمثل، والقيم التي قررها الإسلام.

ناهيك **أيها المسلم**: عما ينتشر بين أولئك في تلك البلاد، من أمراضٍ معدية قذرة، وأوبئةٍ مستعصيةٍ مهلكة، وهي أمراض تنتشر عدواها بإذن الله على من جالس المصاب، أو مس شيئاً من جسمه، ومنها ما لا ينتشرُ بشكلٍ عارض، وإنما ينتقل نتيجةً لسلوك بشري، يمكن للإنسان أن يتوقاه، بالتمسك بالدين والعقيدة، والقيم الأخلاقية النزيهة، والابتعاد عن مواطن الريب، وقد تقرر أن أحد الأسباب الموقعة في تلك الأمراض، هو السفر إلى البلاد الإباحية في الشرق أو الغرب، وماذا في تلك البلاد؟ إنه الكفر والإلحاد، إنه الإباحيةُ والفساد، إنه الأمراضُ المعديةُ الفتاكة، إنه إضاعة المالِ وتبذيرُه، وكلُ هذه مفاسد خطيرة؛ تكفي واحدةٌ منها لقوم يعقلون.

أيها المسلمون: إنه لما كان الإسلامُ هو دين العزةِ ودين القوة، فإنه قد أبى على معتنقيه أن يُستذلوا للكفار، ولذلك جاء المنع الصارخ من الإقامة بين ظهرانيهم، لأن إقامة المسلم بينهم تشعره بالوحدة والضعف، وتربي فيه روح الاستخذاء والاستكانة، وقد تدعوه إلى المحاسنة ثم المتابعة، والإسلام يريد للمسلم أن يمتلأ قوةً وعزة، وأن يكون متبوعاً لا تابعاً، وأن يكون ذا سلطانٍ

ليس فوقه إلا سلطانُ الله، لذلك كله حرم الإسلام على المسلم أن يقيم في بلدٍ لا سلطان للإسلام فيه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [سورة النساء، الآية: ٩٧] وقال ﷺ: «**أنا بريء من مسلم يقيم بين ظهراني المشركين**» [رواه أبو داود والترمذي].

وقد استثنى العلماء من ذلك المجاهد في سبيل الله، والداعيةَ إلى الله، والمسافر للعلاج، أو لدراسة ما ينفع المسلمين أو للتجارة، كلُ ذلك مشروط بأن يكون مظهراً لدينه، عالماً بما أوجب الله عليه، قوي الإيمان بالله، قادراً على إقامة شعائره، وللضرورة حينئذٍ أحكامُها.

عباد الله:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [سورة التحريم، الآية: ٦] قوا أنفسكم أي انقذوها واحموها، من نار الله الرهيبة، وانقذوا معكم أهليكم، الذين تزعمون أنكم تحبونهم، فكيف إذاً تحبونهم، وأنتم تلقون بهم وبأنفسكم في مجالات خطرة، أغركم أنكم تتقلبون في نعم الله صباح مساء؟! أتظنون أن هذا سيدوم لكم بلا نهاية؟! **كلا أيها المسلمون**، كلُ هذا سيترككم يوماً ما، حتى تعودوا حفاةً عراة، في حفرةٍ مظلمة، يملأُ الترابُ أفواهكم، ويملأها الدودُ كذلك، وتتمنوا ولو لحظةً واحدة أن تعودوا إلى الدنيا، فتنفقوا هذا المال في سبيل الله، وتتوبوا إليه من الريب والشبهات، فضلاً عن

المعاصي والذنوب الواضحات. فاتقوا الله عبادَ الله، وأطيعوا أمره واجتنبوا نهيه واستغفروه من الذنوب والخطايا إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، أمرنا بالتمسك بهذا الدين، لنكون من المفلحين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، مخلصاً له الدين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون، واحذروا من عقابه، يا من تسافرون إلى مواطن الوباء، ومعاطن البلاء، اتقوا الله في أنفسكم وفي أهليكم وفي مجتمعكم، لا تتمرغوا في الأوحال، وتغمسوا أنفسكم في البلاء، ثم تجلبوه إلى بلادكم، كالذباب يقعُ على النجاسة، ثم يحملها برجليه إلى أجسام الأبرياء.

ثم إن هذا لا يعني أن يكون المسلم نشازاً مع أهله، فلا يرفههم، ولا يُدخل السعادةَ في قلوبهم، فقد قال ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**» [رواه الترمذي وابن ماجه] فباستطاعة المسلم، أن يرفه أهله، ويسلك بهم السُبل المباحة، من عمرة إلى بيت الله الحرام، أو إلى مسجد رسول الله ﷺ في زيارة، أو إلى ربوع البلاد المسلمة في نزهة بريئة في الوقت الذي تنعىٰ فيه المصائفُ المباحةُ أبناءها، ثم إنه قد يقابل الواحدُ منكم، بغضب الأهل والأولاد، فيؤذونه ويُلحون عليه، ولكن عليه أن يصبر في سبيل الله، ثم في سبيل مصلحتهم ومحبته لهم، واعلموا أن هذا الصبر وذاك الاحتساب، إنما يكون للذين يُحكِّمُ الدين حياتهم، وهم مسلمون لله، مستسلمون لشرعه وأمره، يلتمسون رضاه ولو شق ذلك على نفوسهم ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى

﴿ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [سورة النور، الآية: ٥١].

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴿٣٦﴾﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٣٦]. أما الذين يتبعون شهواتهم ورغباتهم، ولا يعنيهم أيرضى اللهُ شيئاً أم يسخطُ عنه، فلا حديث معهم، لأنهم في حاجة إلى تصحيح أصل الإيمان في قلوبهم.

هذا وصلوا رحمكم الله على من أمركم الله بالصلاة عليه فقال عز من قائل عليم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٥٦].

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر الصحابة أولي الرأي والنجابة وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، ودمر أعداء الدين، واجعل هذا البلد آمنا مطمئناً وسائر بلاد المسلمين، اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين، اللهم انصر المجاهدين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللهم أنزل نصرك على إخواننا المسلمين في البوسنة والهرسك، وأنزل بأسك ورجزك على الظالمين الصرب وأعوانهم، اللهم اشدد وطأتك عليهم،

واجعلها عليهم سنين كسنين يوسف.

اللهم أصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين، اللهم وفق ولي أمرنا لما تحب وترضى وخذ بناصيته للبر والتقوى، اللهم أصلح له بطانته ياذا الجلال والإكرام.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله: اذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.

الردة في ثوبها الجديد

الخطبة الأولى

الحمدُ لله هادي العباد، الرقيب على خلقه، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، أحمده سبحانه حمدَ عبدٍ خافه ورجاه، وأشكره، والشكرُ واجبٌ على العبد لمولاه، وأشهد ألا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، ولا ند له في جلاله وكماله وعُلاه، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه صفوةُ الخلق، وأفضلُ الهداةِ إلى صراط الله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن سار على طريقه واتبع هداه.

أما بعد:

فيا عباد الله: قرةُ عين المؤمن وطُمأنينةُ قلبه، تبدو واضحةً في تقواه لربه، فإن تقوى الله هي أساسُ كلِ صلاح، وسِلْوان كل كفاح.

أيها المسلمون: في يومٍ مليءٍ بالحزن والأسى يعلوه الصمت الرهيب، وتغمر الوجوه فيه دموعٌ شفافة، وتخترق جدران صمته همسةٌ رقيقةٌ أسيفه، في يومٍ وقف المسلمون فيه بخشوعٍ، والدنيا من حولهم هاجعةٌ صامتةً، تواجه الأمةُ فيه خطباً جليلاً، زعزع

المسلمين وأذهلهم، أو كادَ يطير بألبابهم، وذلك الموقفُ المُهيب لم يقطعه سوى صهيل فرس جاءت تركض، بعد أن خلعت رسنها وقطعت شوارع المدينة، وثّباً وراء جثمانِ صاحبها، يقودها عبيرهُ وأريجُه.

وكم كانت المواقفُ عظيمة، والآثارُ المضنيةُ جسيمة، كل ذلك كان حزناً وأسى على فراقِ خير البرية، وأزكى البشرية جمعاء، إنه رسول الله ﷺ ثوى في مرقده، وفاضت روحه بأبي هو وأمي، ومات فوق الأرض التي طهرها من وساوس الوثنية، وأزاح من طريقها كل قوى التقهقر والشرك.

لقد لحِق المصطفى ﷺ بالرفيق الأعلى، ليحمل أصحابهُ من بعده مسئولية الدعوة، ولم يكن الأمر حينها جرعةَ ماء، ولا اقتسام غنيمة. لا وربي. ومع ذلك لم تمض إلا ليلةٌ واحدة، بل لم تمض إلا ساعاتٌ قليلة، والدموع في المآقي، والغصةُ في الحلوق، ولكن المهمة عظيمة، والمسئولية جسيمة، وأمرُ المسلمين لا ينبغي أن يترك لهجمات الرياح، ونزعات العواطف، لم تمض تلك الليلة إلا وقد بُويع فيها لأبي بكر الصديق رضي الله عنه خليفةً للمسلمين.

بعد ذلك عظُمَ الخطب، واشتدت الحال، ونجم النفاق بالمدينة، واشرأبت اليهودية والنصرانية وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية، وارتد من ارتد من أحياء العرب حول المدينة، وامتنع آخرون من دفع الزكاة، ولم يبق للجمعة مقامٌ في بلدٍ سوى مكة والمدينة.

عند ذلك، وقف المسلمون الصادقون وقفةً إيمانيةً ظاهرة، وصفوا صفاً إسلامياً متراصاً، فلم يخافوا تلك الجموع المرتدة،

ولم ترهبهم تلك القوى المتألبة. لماذا؟ لأنهم صدقوا الله البيعة وأحسنوا الإسلام، لقد كانت الردةُ خطراً عظيماً، هدد مكة والمدينة، ومجتمع المسلمين كله، بل قام المنافقون يودون أن تنقضَ عرى الإسلام من جديد، عروةً عروة.

عند ذلك، أشار بعض المسلمين على الخليفة أن يتركهم وما هم عليه، ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان في قلوبهم، ولكن الصديق رضي الله عنه صاحبَ رسول الله ﷺ كان قد فهم الإسلام قولاً وعملاً، وعلم أنه منهجٌ ربانيٌ متكامل، وأن الأمر لم يكن بهذه الصورة التي عرضها عليه أصحابهُ، وأن القضية لم تكن بتلك الموازين، بل إن الأمر أعظم من ذلك، فلم يتمالك الصديق رضي الله عنه حينها، إلا أن يرفع عقيرته قائلاً «لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة».

أيها المسلمون: إن أمر الصلاة والزكاة، والحج والصيام والجهاد، وغيرها من شعائر الإسلام وتشريعاته، ليس في حقيقته إلا أنه إخلاصُ العبودية لله وحده، أو أنه اتخاذُ شركاء معه، فالإنسان إما أن يكون مسلماً أو لا يكون ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٩]. أما حينما يأخذ الرجلُ من الإسلام ما يستهويه، ولا يتناقضُ مع مصالحه وشهواته ومطامعه، ثم يأخذُ من الجاهلية ما يستهويه أيضاً، فذلك الضلال والشرك معاً.

إن انتقاص منهج الله في شعيرة، أو أمرٍ من الأمور التي شرعها الله، يعني الاعتقاد بأنه منهجٌ ناقصٌ قاصرٌ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، والدينُ الإسلامي منهجٌ متكامل، يقوم أساساً على قاعدة الإيمان بالله وحده، وأن محمداً رسولٌ من عنده، إيماناً

حقيقياً واضحاً يكون من مقتضاه الاستسلام لله سبحانه، ونزعُ كل عبودية لغير الله في كل شئون الحياة العامة والخاصة، لهذا كان موقف الصديق واضحاً، مما جعل المسلمين يطمئنون إلى هذا الموقف، وينتبهون إلى حقيقةٍ غابت عنهم قليلاً في غمرة الأحداث المفجعة.

أيها المسلمون: ماذا تعني الردةُ عن الإسلام في عرف أهل العلم؟ إنها إبدالُ دين الإسلام وعقيدته، لإحلال غيرها مكانها، أو هي انكارُ شيءٍ مما جاء به رسول الله ﷺ، وثبت بالضرورة من دين الإسلام، أو هي الإيمان ببعض الكتاب والكفرُ ببعض، وكان المرتدُ في الصدر الأول من الإسلام رجلاً منبوذاً ممقوتاً، لا يخفى على الناس أمرهُ، ولا يكون ارتداده في غالب الأحوال سراً من الأسرار.

وقد ظن كثير من الناس أن ظاهرة الردة قد وئدت إلى غير رجعة، بوأد أبي بكر لها، ولكن الأمر على العكس من ذلك. فإن الردة عن الإسلام قد تُطفؤُ نارها تارة، وتُضرمُ تارة أخرى، وقد تكون كالحرباء؛ تتلون وتتغير بألوانٍ تواكب العصر والحضارة.

وقد برز في هذا العصر لونٌ متميزٌ من ألوان الردة، ولباسٌ جديدٌ من ألبستها، فقد اكتسح جزءاً كبيراً من أجزاء العالم الإسلامي، وغزت هذه الظاهرة عدداً كبيراً من الأسر والبيوتات، إنها ردة.. ولكنها لم تلفت المسلمين، ولم تشغل خاطرهم، لأن صاحبها لا يدخل كنيسة، ولا يتعبدُ في بَيْعَة، هذه الردة هي ما يسمى بالحرية الشخصية، التي يدعى أرباب الفكر المادي الملحد أنهم ربحوها من وراء التحرر من الدين، والتلبس بلباس العلمانية، وهذه الحرية هي العبُّ من الشهوات بلا حساب،

والانطلاق وراء الرغبات الحسية بلا حياء، والتحلل من عرى الفضائل والأخلاق والقيم العليا، بل والتحلل من الدين بالكلية، وتنحية شرع الله عن واقع الحياة، وهذه الحرية المزعومة، ليست كسباً يسعى إليه، ولا غنماً يحرص عليه، إنما هي لا غير خسارة جسيمة على البشرية جمعاء، وهزيمة منكرة للمعاني الإسلامية، التي بها صار المسلم مسلماً. ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٨٣].

إن القيود التي يفرضها الإسلامُ على المسلم، لا يريد بها عذابه، ولا حرمانه، إنما يريد بها أن يرتفع به من الحيوانية الهابطة، إلى الإنسانية الصاعدة، وبذلك ينتصر المسلمُ على الدعوى التحررية، ويتغلب الإيمان والتقوى، على الشهوة البهيمية السبعية، وكل مجتمع يخرج على هذه القيود، أو يهون من شأنها، فإنه يعرض نفسه للخطر، ويقرب بها من حافة الهاوية ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٢٩].

أيها المسلمون: إن هذه الظاهرة تُعَدُّ من أخبث وأخطر الظواهر التي تواجه المسلمين في عصرهم الحاضر، حيث يراد لهذه الظاهرة أن تمحو شريعة الله من الأرض، وتقصيها من واقع حياة المسلمين، وتشتت ولاءهم الموحد إلى ولاءات جاهلية متعددة.

ودعاةُ هذه الظاهرة مازال مكرهم مشتهراً، ودعوتهم تسري سريان النار في يابس الحطب، والناسُ مشغولون بالجدل والنقاش، حول ما يثيرونه، ويتوهمون أنها مشكلاتٌ حقيقيةٌ لابد لها من حلول.

وما علم أولئك الناس أن دعاة تلك الظاهرة قد رأوا الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، وخافوا بذلك أن تفوتهم حظوظٌ من الدنيا، فتقدموا حاقدين ضامرين الغدر، ناسين أن الله سميع بصير، وأنه سيحفظ لهذه الأمة دينها، وسيهلك عدوها ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة يوسف، الآية: ٦٤].

إن أهل الكفر الذين يغذون تلك الظاهرة قد يتسامحون بشيء من الإسلام، ولكن بالإسلام الذي لا يكافح الاستعمار، وليس هو الإسلام الذي يقاوم الطغيان، لأن الإسلام حين يحكم سينشيءُ الشعوب نشأةً أخرى، وسيعلم الشعوب أن إعداد القوة فريضة، وأن الكفر والاستعمار وباء، فكلاهما عدو وكلاهما اعتداء. إنهم يجوزون أن يستفتى الإسلام في منع الحمل، ويجوزون أن يستفتى في نواقض الوضوء، ولكنهم لا يجوزون أن يستفتى أبد، في أوضاع المسلمين؛ دينيةً كانت أو اجتماعيةً أو اقتصادية، ولا يستفتىٰ أبداً في قتل الأنفس البريئة، وتشريد المجتمعات المسلمة في فلسطين، وفي البوسنة والهرسك، وفي كشمير والصومال وغيرها من بلاد المسلمين، سبحانك يارب، رحماك يارب. أيها المسلمون: ما هذه العنجهية التي يريدون ؟! ما هذا الكبت الذي ينشدون؟!

إن هذه الدعوات المنطلقة عبر الأثير، والتي يتلاطم غبارها ذات اليمين وذات الشمال، والتي تريدُ أن تسقط أجنة المسلمين، أو أن تئدها في مهدها، إنها تريد للإسلام والمسلمين أن يعيشوا في نطاقٍ ضيقٍ خسيس، لا يعرف المسلمون فيه من الإسلام غير اسمه.

إن هذه الدعوة الماكرة، تريد أن تصل إلى قلوب المسلمين

عبر طرقٍ معقدةٍ ملتوية، من أشهرها، الهجوم الشرس على العقيدة الإسلامية، ورميها بأحد ما وضعوا من عبارات مسفَّة، كقولهم، إن الشريعة الإسلامية شريعة بربرية كشريعة الغاب؛ تشوه يد السارق، وترتكب جريمة فظيعة برجم الزاني المحصن وقتل الكافر المرتد، فللفرد أن يدين بما شاء، وأن يتبادل الحب والغرام مع من شاء.

ومنها: إضفاء صبغة البهرجة الكاذبة، والدعاية الرائجة لتلك العلمنة الهدامة، ووصفها بأنها علامة التقدم، ومسايرة روح العصر، الذي سيطرت عليه المعارف، وهي حركةٌ لا تقيد الإنسان بدين، بل يأخذُ ما يريد، ويدعُ ما لا يريد.

وياللأسف الشديد؛ فقد وقع كثير من المسلمين فريسةً لهذا الغزو الماحق الماكر، وتعلق كثير منهم بتلك البهرجة، وذلك الخواء الروحي.

وبعد هذا فلكل مسلم أن يتساءل: لماذا انتشرت هذه الظاهرة بين المسلمين؟ ولماذا استطاعت أن تغزوهم في عقر دارهم؟ وكيف استطاعت أن تسيطر على العقول والنفوس؟ وما هو الطريق المنجي من تلك الهلكة؟

فالجواب على ذلك كله هو أن العالم الإسلامي قد ضعف ضعفاً شديداً؛ في العقيدة والعلم والدعوة، وبدا عليه الإعياء والشيخوخة. والإسلام لا يعرف الشيخوخة ولا الهرم، إنه جديد كالشمس، وقديم كالشمس، وشابٌ كالشمس، ولكن المسلمين هم الذين شاخوا، وهم الذين هرموا، فلا سعة في العلم، ولا حماسة في الدعوة، ولا عرضاً جميلاً مؤثراً للإسلام ورسالته إلا النادر القليلُ.

ونظراً لما أصاب كثيراً من المسلمين؛ من انحرافٍ وغبشٍ في أذهانهم، فإن من الضروري أن يقوم المسلمون بتجلية تلك التصورات، وكشف هذه الشبهات، وفضح حقيقة اللادينية المزعومة، ومن أنجح الأساليب في ذلك، أن يدرس المسلمون خططهم وأساليبهم في الكيد والدس، عند ذلك ينكشف السترُ عن الذين يستمدون قوتهم من العمل في الظلام، ويجدون أنفسهم وقد غمرتهم الأضواء، وكشفت أوكارهم وسراديبهم، وبذلك يكون فشلهم ساحقاً ماحقاً، بعد افتضاح أمرهم، لأنهم يسبحون ضد تيارٍ قوي غلاب، يرعاه الله بقدرته، ويمدُّه بمدده الذي لا ينفد، وجنوده التي لا يعلمها إلا هو، ذلك هو تيارُ الإسلام.

وإذا كان الإيمان بالله والكفر بالطاغوت هو معنى «لا إله إلا الله». والطاغوت، هو كلُ ما تجاوز به العبدُ حده؛ من معبودٍ أو متبوعٍ أو مطاع، فطاغوتُ كلِّ قوم من يتحاكمون إليه من دون الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعةٌ لله، وانطلاقاً من هذا المفهوم نستطيعُ أن نرى حكم الإسلام في تلك الظاهرة، التي تعني بداهةً الحكم بغير ما أنزل الله وتحكيم غير شريعة الله، فهذا معنى قيام الحياة على غير الدين، ومن ثم فهو أمر جاهلي، لا مكان له في الإسلام ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة المائدة، الآية: ٤٤].

أيها المسلمون: إن الفتنة الكبرى التي ابتلي بها المسلمون في هذا العصر ـ من محاولات الكفر في إبعاد شرع الله عن حكمه في الأرض ـ لم تنجح ولن تنجح، بإذن الله، في القضاء على المسلمين.

ولكن إحياء الأمة الإسلامية من سباتها العميق، والرفع بها إلى مكانها الطبيعي في مقدمة الركب، لتقود البشرية مرة أخرى بأمرٍ من الله، لن يتحقق من خلال جهود أفراد قليلة، أو تجمعاتٍ صغيرة، إن الأمرَ أجلُّ من هذا، والخطر أشدُّ وأدهى.

والإسلام يحتاج إلى أولياء؛ وهم أولياؤه الذين يعملون له وحده، ويواجهون به الكفر والإلحاد.

أولياؤه الذين يعرفون أن الإسلام يجبُ أن يحكم، كي يؤتي ثماره كاملة. أولياؤه الذين لا تخدعهم دغدغةٌ صهيونية، ولا تغريهم ابتسامةٌ صليبية.

إن أهل الإسلام ينبغي ألا يطلبوا باسمه صدقةً ولا نفقة، ولكن يطلبون باسمه عدالةً إسلامية، وشريعةً ربانية، ولا يجعلون من الإسلام أداةً لخدمة الأهواء والأدواء، ولكن يريدون به عدلاً وعزةً وكرامة.

وبذلك كله يأخذ المدُّ الإسلامي طريقه سريعاً، أسرع مما يظن الكثيرون، إنهم يرونه بعيداً، والله يراه قريباً.

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [سورة النور، الآية: ٥٥].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الأيات والذكر الحكيم.

أقول ما تسمعون، واستغفر الله لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب الأرباب، وهادي العباد، وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له ولا شبيه ولا أنداد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه الله رحمةً للعباد اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فيا عباد الله: إن أحسن الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هديُ محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور ما أُحدث على غير هدىً من الله، أو سنةٍ سنها محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله. وعليكم عباد الله بما كان عليه الصدر الأول، ففي هديهم الرشاد، وفي نهجهم الفلاح والسداد.

وليس في اتباع طريقتهم تأخرٌ ولا رجعية، ومن حاد عن مسلكهم تقاذفته الشبه والأهواء، وارتطم بالفتن وانزلق في المهاوي.

هذا وصلوا على النبي، صاحب الحوض والشفاعة، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٥٦].

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، وارض اللهم عن البررة الأتقياء، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن جميع الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، واحم حوزة الدين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين يا رب العالمين.

اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين.

اللهم وفق ولي أمرنا لما تحبه وترضاه من الأقوال والأعمال يا حي يا قيوم، اللهم أصلح له بطانته ياذا الجلال والإكرام.

اللهم أبلغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار، ولا تدع بيت مدر ولا وبر، إلا أدخلته هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً تعز به الإسلام، وذلاً تزل به الكفر، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله: إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون. ولذكرالله أكبر والله يعلم ما تصنعون.

ماذا بعد رمضان؟

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي لا يزول ولا يتغير، سبحانه جعل في تعاقب الليل والنهار عبرةً لمن يتذكر، أحمده سبحانه وأشكره واستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، القائلُ في كتابه المبين ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [سورة الحجرات، الآية: ٩٩].

وأشهد أن سيدنا محمداً عبدهُ ورسولهُ دعا إلى المداومة على الطاعة بفعله وقوله: «**أحبُ الأعمال إلى الله أدومه وإن قل**» صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وكلِ من تمسك بهديه حتى يلقى الله وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فياعباد الله اتقوا الله وأكثروا من اتباع الحسنة بالحسنة، فوالله ما أجمل الطاعة تعقبها الطاعات، وما أجمل الحسنة تجمع إليها الحسنات! وأكرم بأعمال البر في ترادف الحلقات! إنها الباقيات الصالحات التي ندب الله إليها، ورغب فيها في محكم الآيات، فقال تعالى: ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾

[سورة الكهف، الآية: ٤٦].

عباد الله:

إذا كان فعل السيئة قبيحاً في نظر الإسلام، فما أشنعه وأقبحه بعد فعل الحسنة فلئن كانت الحسناتُ يذهبن السيئات، فإن السيئات قد يبطلن الأعمال الصالحة.

عباد الله، إن في استدامة أمر الطاعة، وفي امتداد زمانها نعيمَ الصالحين، وأمل المحسنين. وليس للطاعة زمن محدود تنتهي بانتهائه، ولا للعبادة أجل معين، بل هي حق لله على العباد يعمرون به الزمان، ويشغلون به فرص الحياة وسويعات العمر. فالعبد المطيع لله الذي يقطع مرحلة الحياة في عبادة الله، هو من أولياء الله المتقين، الذين وعدهم الله بعظيم الأجر وسابغ الفضل حيث يقول وهو أصدق القائلين: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة المرسلات، الآيات: ٤١-٤٤].

ولقد كان شهر رمضان المبارك، ميداناً لتنافس الصالحين بأعمالهم، ومجالاً لتسابق المحسنين بإحسانهم، وعاملاً لتهذيب النفوس المؤمنة. روضها على الفضيلة، وارتفع بها عن الرذيلة وأخذت فيه دروساً للسمو الروحي، والتكامل النفسي، فجانبت فيه كل قبيح، واكتسبت فيه كل هدىً ورشاد. فيجب أن تستمر النفوس على نهج الهدى والرشاد كما كانت في رمضان، فنهج الهدى لا يتحدد بزمان، وعبادة الرب وطاعتُه يجب أن لا تكون قاصرةً على رمضان.

قال الحسن البصري رحمه الله: إن الله لم يجعل لعمل المؤمن أجلاً دون الموت، ثم قرأ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾

[سورة الحجر، الآية: ٩٩].

عباد الله: كنتم في شهر الخير والبركة؛ تصومون نهاره وتقومون من ليله، وتتقربون إلى ربكم بأنواع القربات طمعاً في ثوابه وخوفاً من عقابه، ثم انتهت تلكم الأيام وكأنها طيف خيالٍ، قد قطعتم بها مرحلة من حياتكم لن تعود إليكم، وإنما يبقى لكم ما أودعتموه فيها من خير أو شر، وهكذا كل أيام العمرِ مراحلُ تقطعونها يوماً بعد يوم، في طريقكم إلى الدار الآخرة، فهي تنقص من أعماركم، وتقربكم من آجالكم.

تمر بنا الأيام تترى وإنما
نساق إلى الآجال والعين تنظر
فلا عائد ذاك الشباب الذي مضى
ولا زائل ذاك الشيب المكدر

عباد الله:

إن انقضى موسم رمضان فبين أيديكم موسم يتكرر في اليوم والليلة، خمس صلوات فرضها الله على عباده، تدعون لحضورها في المساجد لتقفوا بين يدي مولاكم، وتستغفروه وتسألوه من فضله. وبين أيديكم موسم يتكرر كل أسبوع وهو صلاةُ الجمعة، ويومُ الجمعة الذي اختص الله به هذه الأمة، وفيه ساعةُ الإجابة التي لا يوافقها عبدٌ مسلم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه. وبين أيديكم مواسم في جوف الليل، وفي وقت الأسحار.

فما بال الكثيرين أخذوا ينصرفون عن صالح الأعمال، فبالأمس المساجدُ مكتظةٌ بالمصلين، والأصوات مدويةٌ بتلاوة الكتاب المبين، بالأمس أنفقت آلاف المئين على ذوي القربى والمساكين.

بالأمس وقد كنا مرغمين الشيطان بكثرة النوافل، أخذ يهتز طرباً من تركنا لها، ويتصارعُ مع الناس في ترك الواجبات ﴿ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝ ﴾ [سورة فاطر، الآية: ٦].

وإن تلكم لمأساةٌ كبرى وخسارةٌ عظمى، أن يبني الإنسان ثم يهدم، وأن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير.

فأين تلكم القلوبُ الخاشعةُ في رمضان، والعيونُ الدامعةُ، والألسنُ التاليةُ، والأيدي المنفقةُ؟ أين تلكم الأرواح المقبلةُ على الله، أين ذلكم الشعورُ الفياضُ في رمضان؟

أفلم تكونوا تعلمون أن رب رمضان هو ربُ شعبان وشوال؟ ألم تعلموا أنه أخبر عن نفسه سبحانه بأنه مع المحسنين في كل زمان؟ ألم تعلموا أنه ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا نزولاً يليق بجلاله حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول هل من تائب فأتوب عليه، هل من مستغفرٍ فأغفر له، هل من سائلٍ فأعطيه سؤله.

فما هذا الانصراف ياعباد الله؟! ما هذه الرغبة عن الله الذي يحب من عباده المداومة على تقواه؟! فحذار يا من سمت نفوسهم في رمضان إلى درجات الصالحين، وتنعمت بلذة المناجاة وانخرطت في سلك الطائعين، أن تهدموا ما بنيتم وتبددوا ما جمعتم.

حذار يامن كان في رمضان تقياً نقياً رحيماً، أن تحول نفسك شيطاناً رجيماً، حذار من النكوص على الأعقاب والالتفات عن الله، بعد أن أقبلت عليه تائباً من ذلك راغباً في رحمته خائفاً من نقمته، حذار بعد أن كنت في عداد الطائعين وحزب الرحمن، وأُسبل عليك لباسُ العفو والغفران، أن تخلعه بالمعصية، فتكون من حزب الشيطان.

حذار أن توقع نفسك في المعاصي، فإنها شهوة قصيرة عاجلة، تعقبها حسرةٌ دائمةٌ ونار حامية.

عباد الله: إن للقبول والربح هذا الشهر علاماتٍ، وللخسارة والرد علاماتٍ واضحةً يعرفها كل إنسان من نفسه، ففكروا في أنفسكم، من كان حاله في الخير والاستقامة بعد رمضان أحسن من حاله قبله ـ من حسن سلوكه وابتعاده عن المعاصي ـ فهذا دليلٌ على قبول أعماله الصالحة في رمضان ودليل على ربح تجارته في رمضان.

ومن كان بعد رمضان كحاله قبله أو أسوأ؛ مقيم على المعاصي، بعيد عن الطاعة، يرتكب ما حرم الله، ويترك ما أوجب **الله**، يسمع النداء للصلاة فلا يجيب، ويعصي فلا يتوب، لا يدخل مع المسلمين في بيوت الله، ولا يتلو كتاب الله، ولا يتأثر بالوعد والوعيد، ولا يخاف من التهديد. سماعُه للأغاني والمزامير، ونطقه قولُ الزور، وشرابه الدخان والمخدرات والخمور، وماله من الرشوه والربا وبيع السلع المحرمةِ والكذب في المعاملة والغش والخديعة والفجور، ماذا استفاد هذا من رمضان ومن مواسم المغفرة والرضوان؟ إنه لم يستفد سوى الآثام والخسران، والعقاب والنيران، فياعُظْمَ الخسارة، ويافداحة المصيبة، وياهول العقوبة، نعوذ بالله من العمى بعد البصيرة، ومن الضلالة بعد الهدى.

فاتقوا الله **عباد الله**، وواصلوا السير إلى الله، فمن زرع وتعاهد زرعه بالسقي حصد، ومن زرع الحبوب وما سقاها، تأوه نادماً يوم الحصاد.

اللهم ارزقنا الاستقامة على دينك في رمضان وفي غير رمضان.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون واستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الرافع الخافض، يرفع المتقين بطاعته، ويخفض العصاة بخذلانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن مقابلة نعمة التوفيق لصيام شهر رمضان بارتكاب المعاصي بعد خروجه من تبديل نعمة الله كفراً، فمن عزم على معاودة المعاصي بعد رمضان فصيامه عليه مردود، وباب الرحمة في وجهه مسدود.

إن هذه الشهور والأعوام والليالي والأيام، كلها مقاديرُ الآجال، ومواقيت الأعمال، ثم تنقضي سريعاً وتمضي جميعاً. والذي أوجدها وابتدعها باقٍ لا يزول، ودائمٌ لا يحول، هو في جميع الأوقات إله واحد ولأعمال عباده رقيبٌ ومشاهد، قيل لبشرٍ الحافي: إن قوماً يتعبدون الله في رمضان فإذا انسلخ تركوا، قال: بئس القومُ لا يعرفون الله إلا في رمضان.

فاتقوا الله **أيها المسلمون**، وألزموا أنفسكم المسلك القويم، الذي سلكتموه في رمضان؛ من اجتناب المعاصي والإكثار من أعمال البر، ومتابعة الإحسان بالإحسان. وإن من متابعة الإحسان صيام ستة أيام من شوال، ندبكم إليها رسول الله ﷺ بقوله: **«من صام رمضان وأتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر كله»** [رواه مسلم].

ووجه كون صيام الست بعد رمضان كصيام الدهر، هو أن الله

يجزي على الحسنة بعشر أمثالها كما في قوله ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٦٠] فصيامُ رمضان مضاعفاً بعشرة شهور، وصيامُ الست بستين يوماً، فحصل من ذلكم أجر صيام سنةٍ كاملة.

عباد الله: إن فضل الله عليكم متواصل ومواسم المغفرة لاتزال متتالية لمن وفقه الله لاغتنامها، فإنه لما انقضى شهر رمضان دخلت أشهر الحج إلى بيت الله الحرام، فكما أن من صام رمضان وقامه غفر له ما تقدم من ذنبه فكذلك من حج البيت ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه. فما يمضي من عمر المؤمن ساعةٌ من الساعات، إلا ولله فيها عليه وظيفةٌ من وظائف الطاعات، فالمؤمن يتقلب بين هذه الوظائف، ويتقرب بها إلى مولاه، فاشكروا الله على هذه النعم، واغتنموها بطاعته ولا تضيعوها بالغفلةِ والإعراض عنه.

هذا وصلوا رحمكم الله على من أمركم الله بالصلاة عليه فقال عز من قائل حكيم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٥٦] اللهم صل وسلم وزد وبارك على عبدك ورسولك محمدٍ؛ صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض اللهم عن صحابته الطيبين الطاهرين، وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين.

اللهم أصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يارب العالمين، اللهم وفق ولي أمرنا لما تحب وترضى، وخذ بناصيته للبر والتقوى. اللهم أصلح له بطانته

ياذا الجلال والإكرام.

اللهم اجعل مواسم الخيرات لنا مربحاً ومغنماً، وأوقاتِ البركات والنفحات لنا إلى رحمتك طريقاً وسلماً.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله:

إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون. وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون.

البلد الأمين

الخطبة الأولى

الحمد لله الأول والآخر، والظاهر والباطن، أحمده سبحانه وتعالى وأستغفره وأتوب إليه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حيٌّ دائمٌ لا يموت، بيده الخيرُ وهو على كل شيء قدير. وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبدهُ ورسوله الهادي إلى أقوم سبيل، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الحشر الكبير.

أما بعد:

فيا أيها المسلمون: أثرٌ خالد، وبناءٌ شامخ، ورمز للحنيفية السمحة، ذلكم هو بيتُ الله العتيق، الذي رفع قواعده إبراهيم خليل الرحمن وابنه إسماعيل، وما برح بيتُ الله العتيق يطاول الزمان وهو شامخُ البنيان، ثابتُ الأركان، في منعةٍ من الله وأمان. يقوم بقيامه ركنٌ من أركان الإسلام، تتعاقبُ الأجيال على حجه، ويتنافس المسلمون في بلوغ رحابه.

ومهما تتبار القرائح، وتتحبرُ الأقلام، متحدثةً عنه، حاديةً

أناشيد عظمته، فستظل جميعاً كأن لم تبرح مكانها، ولم تحرك بالقول لسانها، وإذا كانت صفحاتُ هذه الخُطبة، تريدُ أن تستهل بالحديث عن عظمة هذا البيت، وعن تاريخ بنائه، وعن توالي الأزمنة عليه، فهي لا تطمع في أن توفي الحديث بعض حقه، ولا تزعم أنها ستقدم للإخوة المستمعين كل ما يمت لهذا البيت بصلة، إنما هي - لا غير - كلماتٌ تشير على استحياء إلى بعض سمات تاريخه وعظمته، التي جعل اللهُ أفئدة الناس تهوي إليه، والتي جذب نحوه، جموعاً لا نظير لها في الدنيا. هذا هو البلد الأمين.

البلد الأمين، يوم أن أهدر كفار قريشٍ دم محمد ﷺ.

البلد الأمين يوم أن أوذي الصحابة رضوان الله عليهم وأُخرجوا منه. البلد الأمين، يوم لم تعرف قريشُ حق الأمانة. البلد الأمين، وما أدراك ما البلدُ الأمين؟! بلدُ الرسالة ومهبط الوحي، بلد التوحيد والعقيدة، بلدٌ شع منه نور الإسلام ليبلغ الآفاق، وليعلن هويته للناس، فهويته الإسلام، وفي رحابه الأمن، وفي جواره الخير والبركة.

أيها المسلمون: لقد جاء إبراهيم عليه السلام بهاجر وبابنها إسماعيل، وهي ترضعه، حتى وضعها عند هذا البيت، عند دوحة فوق الزمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذٍ أحد، وليس بها ماء فوضعهما هنا، ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاءً فيه ماء، ثم مضىٰ إبراهيم منطلقاً فتبعته أم إسماعيل فقالت: ياإبراهيم، أين تذهبُ وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء؟ قالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آلله الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا، ثم رجعت،

فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ [سورة إبراهيم، الآية: ٣٧].

وجعلت أم إسماعيل ترضعُ ولدها إسماعيل، وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنُها، وجعلت تنظر إليه يتلوى، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فقامت على الصفا ثم استقبلت الوادي تنظرُ هل ترى أحداً فلم تر أحداً، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحداً فلم تر أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات، فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت: صه، ثم تسمعت فسمعت أيضاً، فإذا هي بِالملك عند موقع زمزم، فبحث بعقبه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضُه بيدها، فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: لا تخافي الضيعة، فإن هذا بيتُ الله يبنيه هذا الغلام وأبوه [رواها البخاري].

الله أكبر ما أعظم التوكل، إنه شعور نفيس، إنه ما يستطيعه إلا امرؤ وثيقُ الصلة بالله، فها هي هاجرُ تتعرض للمحنة، وتنتظر الفرج من رب السماء، فجاء الفرج، وتفجرت زمزم، وصار الرضيع أمةً كبيرة العدد، عظيمة الغناء ومن نسله صاحبُ الرسالة العظمى صلوات الله وسلامه عليه.

فقد أصبحت تلكم الأسرة الصغيرة، نواة الحياة، وأصل العمران في هذا المكان، وجاءت لصحراء الجزيرة العربية بشرف النبوة والرسالة لا غير، فصار البيتُ الحرامُ لهم وعاء، وماء زمزم لهم سقاء، وعناية الله لهم حواء. وحق لمن خضع لأمر الله ذلك

الخضوع، أن يكون أهلاً لذلك التكريم، وأن يقيم بناء البيت الذي تهوى إليه أفئدة أهل الإيمان.

وتمر الأيام، فيأمر الله إبراهيم عليه السلام، أن يرفع قواعد هذا البيت، فيقومُ إبراهيمُ ببناء هذا البيت، يحمل الحجر من على كتف ابنه إسماعيل، وهما يقولان ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [سورة البقرة، الآيتان: ١٢٧، ١٢٨] فاستجاب الله دعاء أبي الأنبياء، فهوت القلوب إلى هذا البيت، ورزق الله أهله من الثمرات ما كفاهم وأفاض على من سواهم. وظل هذا البيت العتيق شامخاً على مر الزمن، وعناية الله تحفظ لهذا البيت حرمته، وتحيطه بالإجلال والإكبار على مر الدهور والأجيال، ولاتزال قصةُ الفيل شاهدةً على حرمة هذا البيت وعظمته، ودليلاً على أن من استعز بغير الله ذل، ومن لجأ إلى غير الله ضل.

وعلى الرغم من فضل هذا البيت، وعلو شأنه، إلا أنه أحجارٌ لا تضر ولا تنفع، ولكن بعض المغفلين ممن لا علم عندهم، يظن أن للمسلمين علاقاتٍ ماديةً بأحجار الكعبة، وبالحجر الأسود خاصة، وهذا ظن ما يبوء إلا بالحسرة والخسران، كيف لا؟ وقد قال الفاروق رضي الله عنه «إني أعلم أنك حجرٌ لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسولَ الله يقبلك ما قبلتك».

إن التوحيد الذي يعمر قلوب المسلمين، إنما هو يقين خالص لا يلتفت إلا لله، ولا يتعلق إلا بالله، فالله عزوجل ﴿۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا﴾ [سورة المائدة، الآية: ٩٧] وما الحجر الأسود إلا موضعُ الابتداء، ونقطةُ التمييز في هذا البناء، وعنده

يكون تجديد العهد مع الله على الإيمان والتصديق «اللهم إيماناً بك ـ لا بالحجر الأسود ـ وتصديقاً بكتابك ـ لا بالخرافة ـ ووفاء بعهدك وهو التوحيد الخالص لا الشرك واتباعاً لسنة نبيك محمد ﷺ محطم الأصنام».

ثم تتوالى الأيام والذكريات إلى أن يأتي محمد ﷺ وهو يرفع الحجر الأسود بيديه الكريمتين، ليضعه موضعه، فيطفيء بذلك الفتنة التي كادت تنشب بين بطون قريش.

أيها المسلمون: لقد كان هذا النهجُ الذي شرعه الله في بيته الحرام سابقاً لكل محاولات البشر في إيجاد منطقة حرام، يلقى فيها السلاح، ويأمنُ فيها المتخاصمون، وتحقنُ فيها الدماء، ويجدُ كلُ أحد فيها مأواه، إلا أن البيت الحرام قد آل إلى قريش، فإذا بها تكفرُ بالله، وإذا بها تجعلُ الناس يكفرون به، كما قد كفروا بالمسجد الحرام فانتهكوا حرمته، وآذوا المسلمين، وفتنوهم عن دينهم طوال دعوة النبي ﷺ في مكة وقبل الهجرة، وأخرجوا أهله منه، وهو الحرم الذي جعله الله مثابةً للناس وأمناً، فلم يأخذوا بحرمته، ولم يحترموا قدسيته.

وفتنةُ الناس عن دينهم، أكبر عند الله من القتل، ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢١٧] وقد ارتكب المشركون من كفار قريش هاتين الكبيرتين، فسقطت حجتهم في التحرز بحرمة البيت الحرام، أو حرمة الشهر الحرام، واتضح موقفُ الصحابة رضوان الله عليهم، في دفع أولئك المعتدين على الحرمات من كفار قريش، الذين اتخذوا منها شعاراً حين يريدون، وينتهكون قداستها حين يريدون، ولقد كان ادعاءُ قريشٍ بالشهر الحرام، والتلويحُ بحرمة الشهر، مجرد ستار يحتمون

خلفه، لتشويه موقف صحابة النبي ﷺ وإظهارهم بمظهر المعتدي، وقريش، هم المعتدون ابتداءً، وهم الذين انتهكوا حرمة البيت ابتداءً، ثم بعد ذلك كله يتسترون وراء الشهر الحرام، ويتشبثون باسم البيت الحرام وقداسته، ويرفعون أصواتهم، انظروا ها هو ذا محمدٌ ومن معه، ينتهكون حرمة الشهر الحرام، وقد كذبوا في ذلك ورب الكعبة فقد جاء محمدٌ ﷺ واختار الله مكة، أرضاً مباركة، وأعلنها حرماً آمناً، أي أرضاً منزوعة العنف والأذى، وليست منزوعة السلاح فحسب ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ٦٧] فأمن الناس فيه على أرواحهم وممتلكاتهم وأعراضهم، أمنهم حتى من القول البذيء، واللفظ الفاحش ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٩٧] وأمن في الحرم الطير والوحش وسائر الحيوانات، فلأجل التوحيد، بني هذا البيت، ولأجل الأمن حرم هذا البيت.

فاتقوا الله **أيها المسلمون**، واحفظوا لهذا البيت حرمته، واحترموا قدسيته، فمن يرد فيه بإلحادٍ بظلم نذقه من عذاب أليم.

واقدروا نعمة الأمن التي هي ماسةٌ بالإنسان، عظيمة الوقع في حسه، متعلقةٌ بحرصه على نفسه، اقدروها من أجل أن تتذكروا قريشاً حينما سكنوا هذا البيت، فاستطالوا بالنعمة ولم يشكروا الله عليها، فسلكوا غير سبيل المؤمنين، فكفروا النعمة، وجعلوا لله أنداداً وصدوا عن سبيل الله.

ولعل أهل هذا الدين، هم وحدهم الذين لا يدركون هذه النعمة اليوم، فغيرُ أهله يدركونها ويخشونها، ويحسبون لها في سياساتهم كل حساب.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون واستغفر الله لي ولكم، ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضاه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد:

فيا أيها الأحبة في الله، بالأمس القريب ودعنا فريضة الحج المباركة، تلك الفريضة التي تمحىٰ فيها السيئات، والتي كانت بمثابة غيثٍ ترتوي منه القلوبُ الظامئة، فتفتحُ منه الأزهارُ الندية، فتفوح منها الروائح الشذية، وقليلٌ هم أصحابُ الأذواق الرفيعة والأحاسيس المرهفة، الذين تطمئن قلوبهم، وتزكوا أرواحهم بتلك الشعائر العظيمة، فعلينا أيها الحجاج أن نسأل أنفسنا، تُرى أنكون منهم؟ أم نكون من الذين لا يزيدهم غيثُ الحج إلا جدباً إلى جدبهم، وبؤساً إلى بؤسهم، فهؤلاء هم الأشقياء، مهما بدت للناس سعادتهم، وهم الأذلاء مهما كانت قوتهم، وهم المرضى مهما كانت صحتهم وضخامة أجسامهم.

فيا أيها الحاج البار، ها أنت اليوم قد فرغت من تلك العبادة العظيمة، فعليك اليوم أن تكون قدوةً حسنةً صالحة.

أيها الحاج الكريم، إن المسبحة والسواك وسجادة الصلاة، ليست هي الهدية المطلوبة منك فحسب، بل إن المطلوب منك هديةٌ أعظم من ذلك، وهي أن تكون قدوة حسنة في أخلاقك، قدوةً حسنةً في سلوكك قدوة حسنة لأهلك وأصحابك.

واعلم أيها الحاج، أنك بدأت مع الله حياةً جديدةً، وفتحت صفحةً بيضاء نقية، فاعمل على ألا تكتب عليك فيها إلا عبارة

المدح والثناء، حذار من الرجوع إلى الذنوب فتلوث صحيفتك، وتشوه منظرك أمام ربك، واتق الله قدر استطاعتك فالله غفور رحيم.

هذا وصلوا على نبيكم فقد قال عليه الصلاة والسلام «**إن أولى الناس بي يوم القيامة، أكثرهم علي صلاة**» اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر وارض اللهم عن أهل بيته الطيبين الطاهرين، وعن صحابته والتابعين، وعنا معهم بعفوك وجودك وكرمك ياأرحم الراحمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين.

اللهم انصر من نصر الدين، واخذل من خذل عبادك المؤمنين.

اللهم تقبل من الحجاج حجهم، واجعلهم شاكرين نعمك مثنين بها عليك فاقبلها وأتمها عليهم ياذا الجلال والإكرام.

اللهم وفق ولي أمرنا لما تحبه وترضاه من الأقوال والأعمال يا حي يا قيوم، اللهم أصلح له بطانته ياذا الجلال والإكرام.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله:

اذكروا الله يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.

لسان الصدق

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي أمر بالصدق جميع المؤمنين، ورفع ذكر الصادقين بين العالمين، وأهان الكاذبين، ووضع ذكرهم في الأسفلين، أحمده سبحانه، يجزي الصادقين بصدقهم من رحمته وفضله، ويجازي الكاذبين فيعاقبهم إن شاء بحكمته وعدله وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له في حكمه، وأشهد أن محمداً عبدهُ ورسوله، أفضلُ خلقه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن تبعه في هديه، وسلم تسليماً.

أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون، اتقوا الله وكونوا مع الصادقين، اصدقوا مع الله، واصدقوا مع عباد الله، فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، ومايزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً.

صدقُ الحديث، وحفظُ الأمانة، وعفةُ النفس، والقناعةُ بالمقسوم من صفات المؤمنين. والكذبُ والخيانة، والطمعُ الخبيث والخداعُ من علامات المنافقين ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ

قَوْلُهُۥ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٠٤] قد اشترى الضلالة بالهدى، والعذاب بالمغفرة والعاجل بالآجل، فهو من المارقين، وبظلمه واقترافه الكذب، قد خرج من المخاطبين بقوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [سورة التوبة، الآية: ١١٩].

أيها المسلمون، إن كثرة الكذب وقلة الصدق، آفةٌ إذا استشرت في مجتمع ما، قوضت أركان سلامته، وهدمت أساس استقراره، وبدلت اطمئنان أفراده قلقاً، وسعادتهم شقاء، لأن الحياة في مجتمع يمارس أفراده الكذب، حياةٌ نكدة تعيسة بسبب انعدام الثقة بين أفراده، ولنا أن نتصور إنساناً يعيش في مجتمع مليء بالكذبة، فكيف تكون حاله؟

كلُ خبر يسمعه لا يطمئن إلى صدق مخبره فيه، حتى يتأكد بنفسه، وكل سؤال يسأله لا يرتاحُ إلى صدق مجيبه حتى يبلوه، لا يطمئن في التعامل مع أهله وجيرانه، ولا في بيعه وشرائه، ولا في مكتبه وعمله، لأنه لا يثق بصدق الناس في إخبارهم وتعاملهم، فهل يمكن للمسلم في مثل هذا الجو القاتم أن يحيا حياة مثمرة، فضلاً عن أن تكون حياةً سعيدةً هانئة؟

إنَّ تقدم المجتمع المسلم ورفاهيته وسلامته واطمئنان أفراده، كل ذلك مرهون بشيوع الصدق بين أفراده، وانتشار الثقة بينهم، واضمحلال الكذب إلى أقصى حدٍ ممكن، في تعاملاتهم وعباداتهم وإعلامهم ومدارسهم، وفي شئون حياتهم كلها.

أيها المسلمون، لقد حث النبي ﷺ على الصدق، لأنه مقدمة الأخلاق، والداعي إليها وهو علامةٌ على رفعة المتصف به، فبالصدق يصل العبد إلى منازل الأبرار، وبه تحصل النجاة من

جميع الشرور، كما أن البركة مقرونة بالصدق، قال ﷺ: **«البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا، بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما»** [رواه البخاري ومسلم].

ولذا، فإنك لا تجد صادقاً في معاملته، إلا وجدت رزقه رغداً، وقد حاز في ذلك الشرف والسمعة الحسنة، ويتسابق الناس إلى معاملته، فالصادق يطمئن إلى قوله العدو والصديق، الصادق الأمين مؤتمن على الأموال والحقوق والأسرار، ومتى حصل منه كبوة أو عثرة، فصدقه شفيع مقبول، والكاذب لا يؤمن على مثقال ذرة، ولو قدِّر صدقُه أحياناً، لم يكن لذلك موقع، ولا حصل به ثقة ولا طمأنينة، ألا ترى قول الله عزوجل في إخوة يوسف عندما قالوا لأبيهم ﴿ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَـٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ ﴾ [سورة يوسف، الآيات: ٨١ـ٨٣]. فصدقهم هذا أبطله كذبهم الأول حينما قالوا عن يوسف ﴿ فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ ﴾.

ناهيك أيها المسلم عمن اعتاد على الكذب وصار عادةً له هل تخاله يصدق ولو مرة؟

قال الأصمعي: قلت لكذاب أصدقت قط، قال: لولا أني أخاف أن أصدق في هذا لقلت لا. فتعجب.

فالصدق أيها الأخوة تبرم به العهود الوثيقة، وتطمئن له القلوب على الحقيقة، فمن صدق في حديثه كان عند الله وعند الناس صادقاً محبوباً، مقرباً موثوقاً، شهادته بر، وحكمه عدل، ومعاملته نفع، ومن صدق في عمله بعد من الرياء والسمعة، صلاته

وزكاته، وصومه وحجه، وعلمه ودعوته، لله وحده لا شريك له، لا يريد بإحسانه غشاً ولا خديعة، ولا يطلب به من أحدٍ من الناس جزاءً ولا شكوراً، يقول الحق ولو كان مراً، لا تأخذه في الصدق مع الله لومة لائم، فصدقه في أقواله وأفعاله، هو مطابقةُ مظهره لمخبره، وتصديق فعله لقوله.

فالعلماء الذين ورثوا الأنبياء في رسالتهم، وفي تبليغ الدين الذي جعله الله أمانةً في أعناقهم، يجب أن يكونوا القدوة الصالحة في تحريهم للصدق، في أقوالهم وأفعالهم، وأن يعملوا بما يحملونه من العلم وينقلونه من الدين، كما قال تعالى، ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٧٩]، وتلك أيها الأخوة، من أبرز مظاهر الصدق في العالم.

والتاجر الذي يعرض السلعة، يؤمل فيها الربح المبارك، يجب عليه أن يتحرى الصدق في قوله وعمله، فلا يروج سلعته بالكذب، والأيمان الفاجرة، فإن ذلك يمحق الله به الكسب، ويُذهبُ به بركة الربح.

والمحترف بأية حرفة، والصانع في أي مجال للصناعة، يجب أن يتحرى الصدق في قوله وعمله، فلا يزعم زعماً لا يصدقه الواقع، وتكذبه الحقيقة.

والموظف المؤتمن على مصالح الأمة، مهما ارتفعت وظيفته، واتسع نفوذه وتشعبت مسئولياته يجب عليه أن يتحرى الصدق، فيما يرفعه إلى ولاة الأمر عن الرعية من تقارير وأحكام، فلا يقرر غير الواقع، ولا يلبس أو يحابي أو يجامل أناساً على حساب الآخرين، وإلا كان غاشاً للناس، مدلساً فيما يرفعه لولاة الأمر

من مصالح العباد وشؤونهم، تعظم مسؤوليته أمام الله، ويؤاخذ على ظلمه للعباد وتقريره خلاف الواقع «**ألا كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته**» [رواه البخاري ومسلم].

وكذلك من يحترف الصحافة، أو يتصدى لإشاعة الأخبار بأي وسيلة من الوسائل، يجب عليه أن يتحرى الصدق فيما ينقله ويرويه، فلا ينقل كذباً، ولا ينشر باطلاً، فإن الكذب حين يذاع، والباطل حين ينشر، يعظم بين الناس خطره، ويتفاقم ضرره، لذلك كله يضاعف الله عقابه، قال رسول الله ﷺ في حديث طويل مفاده «**رأيت الليلة رجلين أتياني، وقالا: إن الذي رأيته يشق شدقه فكذاب، يكذب الكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيصنع به هكذا إلى يوم القيامة**» [رواه البخاري ومسلم].

فالصدق ياعباد الله ـ بالإضافة إلى أنه أثر للصلاح، وعامل للفلاح ـ هو ضياء للساري في خضم هذه الحياة الصاخبة، يهديه للتي هي أقوم، حتى يكتب من الصديقين، ومن زمرة البررة الصالحين.

قال ابن القيم رحمه الله: والإيمان أساسه الصدق، والنفاق أساسه الكذب، فلا يجتمع كذب وإيمان إلا وأحدهما محارب للآخر، فقد أخبر سبحانه أنه في يوم القيامة لا ينفع العبد وينجيه من عذابه إلا صدقه قال تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [سورة المائدة، الآية: ١١٩].

أيها المسلمون:

لقد أمر الله رسوله ﷺ، أن يسأله بأن يجعل مدخله ومخرجه على الصدق حيث قال ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ [سورة الإسراء،

الآية: ٨٠] وأخبر عن خليله إبراهيم بقوله: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [سورة الشعراء، الآية: ٨٤]، وبشر عباده بقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [سورة يونس، الآية: ٢] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [سورة القمر، الآيتان: ٥٤، ٥٥].

فهذه خمسة أشياء، مدخلُ الصدقُ، ومخرجُ الصدق، ولسان الصدق، وقدم الصدق، ومقعدُ الصدق، وحقيقة هذه كلها هو الحقُ الثابتُ المتصل بالله، الموصلُ إلى الله، وهو ما كان بالله ولله من الأقوال والأفعال.

وعلى هذا الطريق وهذا النهج القويم، سار سلفنا الصالح رضوان الله عليهم، فضربوا لنا أروع الأمثلة، وبلغوا قمم البطولات، وأناروا بصدقهم دياجر الظلمات، ورسموا لنا معالم الصدق على صحائف من نور.

فهذا أنس بن النضر رضي الله عنه حين قال: أما والله لئن أراني الله مشهداً مع رسول الله ﷺ، ليرين ما أصنع، فشهد أحداً، فاستقبله سعد بن معاذ فقال إلى أين؟ فقال: واهاً لريح الجنة إني أجد ريحها دون أحد، فقاتل حتى قُتل فوجد في جسده بضعٌ وثمانون، ما بين رمية وضربة وطعنة، فنزل قوله عزوجل ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٢٣].

وهذا كعب بن مالك عندما صدق في تخلفه عن غزوة تبوك وكان من الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم، قال له رسول الله ﷺ أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك. قلت أمن عندك، أم من عند الله؟

قال من عند الله قلت يارسول الله إنما نجاني اللهُ بالصدق، وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقاً ما بقيت، فوالله ما تعمدت كذبه منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا، وإني لأرجو الله أن يحفظني فيما بقي.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عليك بالصدق وإن قتلك، وقال محمود الوراق: الصدق منجاة لأربابه وقربة تدني من الرب، والصادق في عمله يدور مع الشرع حيث دار.

أيها المسلمون: إنكم ترون بأعينكم، كيف تأخر بنا الشوط، وسلب منا المجد، مع كثرتنا العددية على سطح الكرة الأرضية، وماذاك إلا من تهورنا، وقلة صدقنا، وفشو جهلنا.

فما أجدرنا أن يكون الصدق رائداً لنا في جميع أعمالنا وأقوالنا، وليس ذلك على همة المسلم المخلص ببعيد.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾ [سورة محمد، الآية: ٢١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله، وعد الصادقين بالمغفرة والأجر الكريم، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادقُ الأمين، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فاتقوا الله عباد الله واعلموا أن خير الحديث كلامُ الله، وخير الهدي هديُ محمد صلى الله عليه وسلم، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثةٍ بدعة وكل بدعةٍ ضلالة، وعليكم بجماعة المسلمين فإن يد الله على الجماعة، من شذ عنهم شذ في النار.

عباد الله: إلى جانب الفضائل والمحامد التي يغرسها الإسلام في النفوس، كوسيلةٍ للصلاح والإصلاح، إلى جانبها نقائص ورذائل حاربها الإسلام، لأنها مزلةٌ للأقدام وعواملُ لهبوط النفس الخلقي، وفي طليعتها الكذب، فهو من أقبح النقائص، وأردى الرذائل قال تعالى منفراً منه ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [سورة النحل، الآية: ١٠٥] وقَرَنَ الله تعالى الكذب بعبادة الأوثان فقال تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الحج، الآية: ٣٠] فهل بعد ذلك سبيل، إلى أن يتخذ المؤمن الكذب مطيةً لسلوكه، أو منهجاً لحياته ورغباته، أو حبلاً يتسلق به إلى مآربه، لذلك نرى الإسلام قد حارب الكذب بكل صنوفه وأشكاله، حرباً شعواء لا هوادة فيها، قيل للنبي ﷺ: أيكون المؤمن جباناً قال نعم، قيل له: أيكون بخيلاً؟ قال نعم، قيل له:

أيكون المؤمن كذاباً؟ قال لا [رواه مالك في الموطأ].

فما أجدر من اعتاد الكذب، بأن ينبذ من المجتمع ويهجر، ويقاطع فلا يعامل، ولا يصاحب ولا يجاور، لقد كذب الشيطان حين قال ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٢] فقال له ربه ﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ ﴾ [سورة الحجر، الآيتان: ٣٤، ٣٥] وكذب اليهود والنصارى في قولهم ﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ [سورة المائدة، الآية: ١٨] فأخزاهم الله ورد عليهم ﴿ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾ [سورة المائدة، الآية: ١٨].

وتتفاوت درجات الكذب في دنيا الناس بقدر ما يحدثه من خطر وضرر، فأعظم الكذب إثماً القولُ على الله بغير علم، والجرأة على التحريم والتحليل دون نص واضح ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [سورة النحل، الآية: ١١٦].

يلي ذلك الكذبُ السافرُ، الذي يتردد صداه، والذي يقرره أربابه، وكأنه حقيقةٌ لا تقبل الشك، فيبلغُ الدنيا، وتُبلبلُ به أفكارُ المجموع، وقد يكون سبباً في إثارة فتن عمياء، أو تأريث نار العداء، لذا جاء النهي الصارخ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [سورة الحجرات، الآية: ٦] وإن لنا ياعباد الله في أعقاب الزمن، من أمثال ذلك أشكالاً وألواناً، تمثلها نفوس ضعيفة، وأرواح شريرة وأقلام مأجورة، حين يقلب أهلها الحق باطلاً، والحسناتِ إلى سيئات، وحين يختلقون الأكاذيب المضللة والتي تسير تبعاً

للأهواء والأغراض، ولا يعنيها تقريرُ الواقع، عارياً عن الزيف، والإدلاءُ بشهادة الحق، إقراراً للعدل، واستجابةً لأمر الله حيث يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٨].

يلي الكذب السافر، كذبٌ مشاع بين المجموع، فمن مقلٍ منه ومن مكثر، يشمل جميع الطبقات في مختلف مجالاتهم، لا يتورع عنه إلا من عصمه الله وهداه.

فاتقوا الله عباد الله، وصلوا على نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم، فقد قال: «**من صلى عليَّ صلاةً واحدة صلى الله عليه بها عشراً**» اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمدٍ صاحب الوجه الأنور، والجبين الأزهر، وارض اللهم عن صحابته والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، ودمر أعداء الدين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين، اللهم انصر من نصر الدين، واخذل من خذل عبادك المؤمنين، اللهم ووفق ولي أمرنا لما تحب وترضى وخذ بناصيته للبر والتقوى اللهم اصلح له بطانته ياذا الجلال والإكرام. ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله: اذكروا الله العظيم يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.

الفهرس

توزيــــع :

مؤسسة الجريسي للتوزيع والاعلان

الرياض ١١٤٣١ ـ ص . ب : ١٤٠٥

☎ ٤٠٢٢٥٦٤ ـ فاكس ٤٠٢٣٠٧٦